مغامرات

أرسين لوبين



اختطاف ارسين لوبين

٥٠ مليما

الفصل الأول

كان للوجوم المفاجيء الذى ران على ارسين لوبين اكبر الاثر في بعث الحيرة الى نفس ضيفه وصديقه سويز ويلد ، الذى راح يتأمل ملامحه في قلق . وما لبث لوبين أن نهض فسار الى منضدة تناول من فوقها لفافة تبغ اشعلها . ثم نظر الى صديقه الشاب برهة وهو مستغرق فى التفكير .. وما كان سويز — الوريث الوحيد المنتظر لاسم وثروة عظيمى الشان — بالغريب عن لوبين ، بل انه غدا في المدة الأخيرة الصاحب المقرب الى نفسه وقلبه .. ثم قال في جد :

— لا تعجب يا سويز اذا رفضت اجابتك الى الخروج الى الحديقة ، ولكنى لا اشك في انك ستفهمنى اذا حدثتك عن سبب صمتى الطارىء ووجومى ، فانك دائما تنكر كلما ليس ماديا من الأشياء والأسباب ..

فتطلع اليه ويلد في ذهول وقال :

— عجبا لك يا رجل .. ما هذه النظرة الغريبة التى تبدو في عينيك ..

— انك لا تؤمن بالوحى أو الهاجس النفسانى .. أليس كذلك ؟ .. ولكن كثير من كبار العلماء يثقون بهذه الأشياء النفسانية كل الثقة .. وانى لأعزو بقائى على قيد الحياة الى انذار خفى كان ينبهنى في الساعات التى أكون مقدما فيها على خطر غير منتظر ولا معروف .. وانى لأسمع هذا الانذار يهتف في اعماقى الليلة ..

وأمسك لوبين عن الكلام وهو يائس من ان يصدقه الشاب الغنى الذى لا يؤمن بالأشياء النفسانية أو الروحانية .. لا . بل وقانط من أن يعتقد الشاب ان ارسين لوبين الثرى الذى يعيش اليوم في راحة ودعة بعد ان دوخ أمهر رجال

البوليس في كثير من الدول ، يثق عن حق في هذه الهواجس الصبيانية ..

وقال ويلد يحاوره : ومن هذا الانذار الخفي ؟

— لقد حدث في مرات عديدة سابقة ان كنت مقدما على عمل من الأعمال ، فلا يلبث هذا النذير أن يوحى الى بخطر قريب يتهددنى .. وقط لم يكذبنى ! . ولقد ظللت الأسابيع الأخيرة وبنفسي خاطر يهمس ليذكرنى ان هذا الهدوء الوادع لا يمكن ان يدوم .

— وما هذا الذى تظنه يهدد أمن حياتك ؟

— أو نسيت هذا البناء القاتم الشامخ الذى يقوم على مقربة من هذه الناحية ؟

— اتقصد سجن سنج سنج ؟ . ما اراك جادا .. وما اظنك ترتقب ان تقاد اليه ؟ . ولم ؟ .

— كيف تنتظر ان اشعر بشيء من الراحة والاطمئنان وذلك السجن الرهيب على مقربة منى .. تصور تلك البأساء التى تلف اولئك المساكين الذين القت بهم الأقدار خلف جدرانه ! .. تصور ذلك الحقد الذى تشتمل ناره في صدورهم فتظل تأكلها فى بطء قاتل .. الحقد نحو القوانين والبوليس .. نحو النساء اللاتى من اجلهن أقدم الكثيرون منهم على السرقة والقتل .. نحو .. نحو انفسهم بدافع من اليأس من رحمة الدنيا .. لا ، لن نستطيع العيش هنا طويلا .

فقال الشاب في اكتئاب : وما يكون مصيرى اذا ارتحلتما وانا الذى لم اعد اجد ما يرفه عنى الضجر من العمل في مصرف عمى ، سوى العيش معك ومع فيرا هنا ؟ .

— مهلا يا سويز ، ساحدثك بما دفعنى الى معارضتك فى الخروج الى الحديقة الليلة .. ان شعورا قويا طارئا .. لا بل يقينا تملكنى ما ان ثمة خطرا يكمن هنا .

واحس سويز أن في لهجة لوبين من التاكيد ما جعل ما في نفس صديقه من تخوف يسري الى نفسه وعاد لوبين يقول : اذهب الى فراشك ، ولن البث أن اتبعك .

فقال محتجا : أتظنني استمر في النوم وانت تسعى وحدك لاكتشاف هذا الخطر الذى تزعم ؟ ..

وهم لوبين أن يجيبه ، ولكنه رفع يده بغتة يسأله الصمت . ثم ارهف أذنيه الحادتين وما لبث أن ابتسم ، وقال :

ـ آه . انهما قدما فيرا .

كان ارسين لوبين قد قنع بما اقدم عليه خلال السنوات الطويلة الماضية من مخاطرات ومغامرات . فتحول يبذل بعض المساعدات لرجال البوليس فيما يعجزون عن كشف غوامضه من القضايا العويصة ، ثم ما لبث أن مال الى الراحة واتخذ هذا القصر المنعزل في ناحية نائية قريبا من سجن امريكا الرهيب ، ليقضي فيه فترة من سني العمر في دعة ورفاهية .

واقبلت فيرا تتيه بقوامها المديد الرشيق ، وفي عينيها نظرة ذاهلة عجب لها الرجلان . فصاحت :

ـ يا للشيطان ! . متى عدتما ولم تمض بعد دقيقة مذ رايتكما عند حافة النهر ؟ .

فقال لوبين : تعنين انك رايت رجلين يشبهاننا كل الشبه ؟

وزحف الجزع الى عينيها اذ رأته يتناول مسدسه الاوتوماتيكي فيفحصه ، وقد جز على أنيابه ، وأومضت عيناه ببريق لامع . وهتف وبلد متسائلا : ماذا تبغى ؟ .

ـ هناك رجلان في الطرف الأقصى من الحديقة عند النهر ، فمن الطبيعي أن يسعى المرء ليعرف كنه امرهما . وهل كان يحاولان الاختفاء عن الأنظار يافيرا ؟ .

ـ كلا ، وهذا ما حملني على أن اظنهما انت وسويز ..

كان اطولهما يحاول اللحاق باقصرهما وهما يجريان ، كما يحلو لكما أن تفعلا حين يستخفكما اللهو والمرح .. اواه يا لوبين ! .. اتظنهما من عصابة « لا بيل الليانس » الذين اقسموا على قتلك اذا استطاعوا الخلاص من السجن الذى زججت بهم فيه ؟

ـ سأرى ...

ـ لا .. انك لا تعلم كم هم المتربصون ..

فاطفأ الأنوار غير مبق الا على مصباح خافت كان يقبع على حافة المعزف .. وهتفت فيرا ضارعة :

ـ كن على حذر من أجلي وخذ سويز معك ..

فانحنى يقبلها وقال : رفهي عنك يا عزيزتي .

وهم أن يتحرك وسويز في اثره لولا أن صرخة حادة انبعثت في جوف الليل فسمرتهما في موقفيهما ..

وقال لوبين : انها صيحة استغاثة .. انه يفر من قاتل .. اتسمعان ؟

فقالت فيرا متوسلة : مهلا ، فربما كانت خدعة لاجتذابك الى الخارج دون استثارة اى ريب ..

ـ بل لقد كانت الصرخة تنطق بالذعر القاتل .. تنحى جانبا . وانت يا سويز فافتح الباب المشرف على الحديقة ..

وفي حذر فتح الباب ، فاذا بضوء القمر يغمر الحديقة واذا بمنظر غير عادي يستقبل انظارهم . منظر رجل قصير نحيل يعدو باقصى سرعة نحو البيت وفي اثره رجل لا يتجاوزه طولا ، على عكس ما رات فيرا من قبل ثم اومض نصل خنجر خيل للوبين انه قد غيب في ظهر الأول .

ولكن هذا لم يهو الى الأرض ، بل بعث مرأى الباب الذى فتح ، والرجلان والمرأة الذين بدوا عنده ، املا في نفسه ،

فضاعف من سرعة عدوه مندفعا نحوهم ، فتنحوا عن طريقه،
ليسقط على ارض الحجرة وهو يرتجف بينما تراجع مطارده،
واختفى بين الأشجار ، فبادر لوبين يغلق الباب وإيقاد النور،
ثم انحنى يفحص الرجل ، الذي بدا مشعثا ممزق الثياب
ملطخها بالوحل ، غائب الوعي ، تنساب الدماء غامرة وجهه ،
ووجد لوبين في كتفه جرحا نازف الـدم ، ولكنه لم يك
بالخطر ، وما لبث الرجل أن افاق من غشيته فصاح في ضراعة

ـ لا تدعهم يقتلوني يا لوبين .. !

فندت عن فيرا صيحة عجب ، وهتف لوبين : بالله .. !
انه هوراس ويمز .. !

وقال ويمز في اعياء : لقد قطعوا اذني ..

ورأى لوبين أن حوالى البوصة من اذن ويمز قد غاب ليخلف
وراءه نزيفا لا ينقطع ، فأسرع يوقف هذا النزيف ، ويسعف
ويمز الذي ما لبث أن تمالك قواه ، واطمأن اذ وجد نفسه
في حضرة صديقه القديم ، وسأله لوبين اخيرا بعـد ان قا[م]
بواجب التعريف بينه وبين ويلد وفيرا :

ـ ومن هم أولئك الذين طاردوك .. ؟

فصاح : ليتني اعرفهم . انني ضـحية بريئة ، كما هي
عادة الأقدار معي .. ! انني لم أراهم من قبل ، ولم يك ثمة
وقت لأستطلعهم سر هذه المطاردة ، لقد فاجأوني وأنا انتظر
بين الأشجار .

فسأله ويلد : وما الذي كنت تنتظره ؟

فقال متألما : لا يحسن بك ان ترتاب في يا مستر ويلد ،
لقد قامت بيني وبين لوبين منذ هبط امريكا ، أواصر صداقة
متينة . كنت قادما لأسأله المساعدة ، فهو يعرف تماما اى
نوع من الأعمال برعت فيه ، اذ سبق ان ساهمنا معا في انتاج
الأشرطة السينمائية .. ولما كانت ظروفي تحتم على أن اجعل

حضوري أمرا لتكتما عمن عداه ، لذلك كمنت بين الأشجار
ريثما ينام الجميع . فعهدي به انه لا يأوي الى مضجعه
الا في ساعة متأخرة جدا .. وفيما كنت أهم بايقاد سيجارة،
سمعت همسة ، ثم رأيت رجلا يحدق في كما يحدق الجائع
في قطعة الشواء .. وما لبث أن برز من خلف شجرة رجل
آخـر .

فصاح لوبين : اذن فهما اثنان ؟

ـ انتظر .. كان هذا الأخير بادي السيطرة على الاول ،
فاستوقفه ثم سألني : « اظنك مستر سميث ؟ » فلم ار
ما يحول دون أن اجيبه انني سميث فعلا ، وعندئذ قفـز
الرجل القصير علي ، فصددته عني ، واندفعت جاريا ..
بالله عليك لا تخرج وتتركني وحيدا .. اتصل بالبوليس
فليس في الأمر ما يدعو الى الخوف من تدخله .. ثم تذكر
انهم اربعة ..

ـ أربعة ؟ .. اواثق انت ؟ .

ـ كل الثقة .. لقد اندفعوا خلفي ، ولكن اكبرهم اصطدم
بالتمثال القائم وسط البركة في الحديقة .. ثم اقبل آخر
فاختفيت وسط الأزهار حتى اذا هجم ركلته بمقدمة قدمي
في جبهته .. ولكن ، استدع البوليس .

وتحول لوبين نحو التليفون ، فرفع السماعة وانصت برهة
ثم اعادها موضعها قائلا :

ـ لا تظنني كنت معتزما استدعاء البوليس ، فقد طرأت
على ذهني فكرة مريبة ، ما لبثت أن تأكدت من صدقها ..
لقد قطعوا أسلاك التليفون مما يوحي بأنهم قرروا أن ينفذوا
الى البيت ، ولا شك أن الرجال الذين يقدمون على استعمال
الخنجر . لا يترددون في اقتحام بيت كهذا محوط بالنوافذ
من كل جانب ..

فصاح ويمز جزعا . ولكن لوبين عاود الكلام في هـــدوء قائلا : ستقودك فيرا الى جناح خاص في الطابق الثاني ياويمز فادخل الملحق به واغلق الباب خلفك بالمزلاج .. ولتبقى في الطابق الثاني يافيرا ، فانني وان كنت لا اجد ثمة ما يدعو الى القلق لا ارتاح لوجودك هنا .

فقال ويمز : ايقظ الخدم ..

فاجابه : ليس بالقصر سوى اربع خادمات .. وليس لدى خدم من الذكور .. ثم ان الخادمات قد اوين الى مضاجعهن منذ ساعتين .. ومن ثم فليس لى غـــير مسدسي وثلاث طلقات فقط ..

واتجه هوراس ويمز نحو الباب ، ولكنه صاح في ذعر قبل ان يبلغه ، ثم هوى في اغماءة ثانية .. فتقدم لوبين وويلد وحملاه ، ولكنهما ما توسطا الردهة المفضية الى الســلم حتى ادركا سبب جزعه ، اذ رايا رجلا غريبا يقف امامهما ، وخلفه زميلان لاتبين ملامح وجهيهما اذ استلقى عليهما ظل الاول .. وهو رجل طويل القامة ، بدا في يده مسدس على اهبـــة معونته ..

وقال الرجل في ثبات : ارفعوا ايديكم ايهـــا السادة .. ودعوا مستر سميث في الارض ..

كانت لهجته تنم على انه مثقف ، تتخللها نبرة حدس لوبين انها اسبانية او من نبرات اهل امريكا الجنوبية ، وان بدت لغته الانجليزية نحوية فياضة .. بينما كسا وجهه غضب يخالطه وهو الانتصار .. ووضع لوبين وويلد جثة ويمز على الارض ، ثم تقهقرا حتى التصقا بالحائط .. وقد خـالج لوبين شعور بالارتياح — رغم الخطر المحدق — اذ تاكد ان الرجل ليس من اعدائه الســابقين .. بل ان وجهه لم يك وجه

شخص مجرم ، رغم ما بان عليه من حقـــد وبغضاء لمراى ويمز ..

وقال لوبين اخـــيرا : ان فيرا غـــير مسلحة فلا داعى لازعاجها ..

وتاملها برهة ثم داخله ارتياح جديد .. كان يعرف ان لفيرا ماضيها الحافل بالمغامرات وان لها اعـــداء يسعون للانتقام ، ولكنه لم يلمح على وجهها ما يشعره انها رات فى احد الاغراب الثلاثة ، ما يخيفها من بعث الماضي بعد دفنه .

وقال الرجل الطويل في تادب : انني آسف لهذه المفاجاة ، ولكني ارجو ان لا تاتي بحركة تضطرني الى ازعاجها ..

فقالت فيرا : شكرا لك .. وهل لى ان اسال عن سر هذه الزيارة ؟

— قبل كل شيء ، اسمحوا لتابعى ان يفتشكم ليجردكم من كل سلاح ..

فتقدم من خلفه رجل قصير نحيل ، يعترض جبهته جرح عميق ثم عن انه الاثر الذى حدثته قدم ويمز ، وبعد ان رمق الرجل المغمى عليه في غيظ ومقت ، فتش لوبين وويلد وفيرا ، وعاد الى رئيسه بمسدس لوبين .. واذ ذاك قال الرئيس :

— اذن فليتفضل السيدان بالجلوس الى جانبى الســيدة فهناك حديث طويل لا مانع من ان امتعكم به ما دامت الليلة آخر ليالى الحرية في حياتكم ..

الفصل الثـــانى

ذهل ويلد اذ راى لوبين وفيرا يتلقيان الامر في بساطة .. ولكن ذهوله تضاعف حين راى لوبين ينظر الى مقتحمي داره في عجب ، وما استطاع ان يحدس الغضب المحتدم الذى كان

لوبين بكبحه .. ولاحظت فيرا انه قد أهمل الرجل القص
ومضى ينعم النظر في الآخرين برهة ، ثم تحول عن ذلك الذ
تصدر للزعامة وقال للاخر وهو يحدق الى يده ، وعلى وجه
سيماء الفوز :

ـ يسرني أن يتفضل سيدى الايرل بشرح الموقف فقد
أوشكت أن أمل .

واشار الرجل الذى تنم لهجتـه عن انه من امريك
الجنوبية في دهشة وصاح في زميله : انه يعرفك : أوليس
هذا دليل آخر على اشتراكه مع سميث ؟ .

بينما تحول لوبين الى فيرا وصديقه قائلا : يسرني ا
اقدم لكما الجنرال الايرل اوف بروكنهيرست الذى كان عل
راس جيش الاحتلال في كولونيا . لقد رايته كثيرا هناك
الحروب الماضية ، فلما رايته الليلة . ثم لمحت شارة النب
على كم سترته ، تذكرته .

وكانت لهجته تنم عن الثقة والاطمئنان ، ولكن الايرل ل
يجفل ، بل تحول اليه قائلا :

ـ أصبت يا هذا . ولكن .. ما اراك تعيش هنا الا تح
اسم مستعار ولا ريب ؟

فقال لوبين : انني ادعى مارتن ديل . هل سمعت هـ
الاسم بين عائلات انجلترا القديمة ؟ . آه ، اترى في لهجت
ما لا يستقيم مع اللغة الانجليزية ؟ . لا عجب ، فقد ولد
ونشأت في فرنسا ، ثم هانذا اعيش الآن في أمريكا ، فلم ا
في انجلترا اكثر من بضع سنوات . ما صديقتي فهي الأم
فيرا سوبنوفسكى التى تنحدر من اعرق الأسرات الروسية
وصديقي مستر سويز ويلد ، ولعلك سمعت عن عمه مس
كيرتز ويلد الذى اكتسب شهرة عالمية في الأوساط المالية !

وراح يتأمل ملامحهم يتعرف آثار كلماته ، فقال الزعيم الامريكى الأصل : ليس في هذا ما يدهشنا ، فنحن نعرف أن زملاء سميث في جرائمه من علية القوم دائما .. ولكن حذار يا صديقي ، فما ظن السيد قد صارحنا صادقا بشخصيته، وان من المحتمل انه قد صدقنا القول فيما ذكره عن نسب الآخرين .. ولقد عرفت حقا الأمير سوبنوفسكى فيما مضى، اذ كان من كبار الملاك في اوكرانيا ..

قال لوبين : لا عجب اذا انكرت على اسم ديل ، فقد انكرت على ويبز اسمه ودعوته سميث ..

ـ آه ، لقد ذكرتني بموضوع زيارتنا .. كنا موقنين من زمن ان سميث لابد آو الى هنا كما تاوى الجـرذان الى جحورهم فاننا قبلناه فى آساس فادرك اننا سنقبض عليه ، وهى حاسة غريزية في المجرمين يشعروا باقتراب منيـة حريتهم ، فكان من الطبيعى ان يلجأ الى وكره يعتصم فيه

فقالت فيرا : لقد اخطأته الظن .. فما جاء هنا الا صدفة ليقترض من زوجى بعض المال ..

وافاق هوراس ويبز في تلك الأثناء فاستوى جالسا .. وراح يحدق فيمن حوله بذهول ..

وساله لوبين :

ـ اتعرف هؤلاء السادة من قبل ؟ . وهل تعرف انهم كانوا يتعقبونك ؟ .

فقال في صوت أجش : ما رايتهم قبل الليلة ..

ـ انهم تحت شعور من الوهم القوى يظنون انك عـدو الحقت بهم ضررا كبيرا وانني ومستر ويلد شريكان لك .. بل انهم يأبون أن يصـدقوا انني ادعى مارتن ديل وانك هوراس ديبز ..

ـ يا لها من حكاية ظريفة الصحف ! . ويا لفخرى حين يذكر اسمى الى جانب اسم الوريث الوحيد لأحد الماليين العالميين فى واشنجتن .. ما رأيك يا ديل ؟

وفجاة ، انفثا غضب الزعيم وتبدت عليه علائم الحيرة وصاح : بالله ! اى خطأ مروع ارتكبنا .. ! ان هذا الرجل ليس سميث وان شابهه في شكله وحركاته ولهجته ، ايها السادة ، ليس في وسعى أكثر من ان أضع نفسي تحت رحمتكم .. !

وهم ويمز ان يتكلم ولكن لوبين اسكته وقال للرجل : وكيف تسنى هذا ..؟

فاجابه : أن لسميث اسنانا زائفة مصطنعة ، اما هذا الرجل فاسنانه طبيعية ، الا أنظر يا سيدى.

ودفع الى لوبين صورة فوتوغرافية وجدها تشبه ويمز فى أيام رخائه وبسطته كل الشبه ، وتحول الرجل فى نفسه الى ويمز متسائلا :

ـ سيدى ، كم يكفيك تعويضا لما الحقناه بك .. ؟

فصاح ويمز : لقد قطعتم أذنى ، وملابسي ، فضلا عما اصابنى من هلع وذعر .

وود لو يطالب خمسمائة دولار،ولكنه فوجىء بالرجل يدفع اليه الفا ، فامسك عن الكلام ونظر اليه مشدوها ، ولكن لوبين لم يشا ان يلحظ احد من الأغراب دهشته ، فقال له:

ـ اراك الان متعبا ياويمز فاصعد مع فيرا الى الغرفة المخصصة لك وساخبرك غدا بما يتم .

وقال الايرل اذ خرجا : ان من العسير علينا ايضاح الموقف، لقد كنا نعرف ان صاحب هذا البيت قبلك كان رجلا سيء السمعة . فلما رأينا سميث ، ونحن نتعقبه ، يتسلل الى هنا زدنا يقينا من انه الرجل الذى ننشده ، انني ادرك

ما تبغى قوله ، ولكننا لم نك نبغى دعوة البوليس للتدخل ، واذ كنت بطىء الغضب ، فان زميلى ، جوميز ، هذا السيد الطويل ، وبدور الآخر ، كانا سريعى الغضب فلم يتمالكا نفسيهما ، ولم يرحماه .

وكانما شاء جوميز ـ الزعيم ـ ان يوقفه عن الحديث ، فانحنى امام فيرا التى عادت اذ ذاك وقال :

ـ سيدتى ، انك بما أوتيت من قلب رقيق تفهمين معنى الاسف ، فاقبلى اسفنا لما حدث .

فاجابته ببرود : ولكننى لا استطيع ان انسى انكم اقتحمتم البيت عنوة .

وقال لوبين : وكذلك لا ننسى انه لولا انتباهكم فى آخر لحظة الى الخلاف بين سميث وويمز لكان ويمز الآن في دنيا اخرى .. واعتقد أن لا مناص من دعوة البوليس للتحقيق ، حتى لا يرعج الناس فى بيوتهم هكذا وهم آمنون .. ان السادة لا تقتحم البيوت بهذه الطريقة ، ومن يدرى ؟ .. فربما كان من المقدر أن تقلبوا البيت رأسا على عقب لو لم تفطنوا الى خطئكم .. وفى البيت أشياء ثمينة .. ان لى الحق ان اطالبكم بتعويض ، فانتم مدينون لى ، كما اننى قد استعدت مسدسي ، فعدت لى السيطرة عليكم .

فامتقع وجه اللورد بروكنهيرست وقال : هذا اصرارمنك واثارة للعداء يا مستر ديل ، فقد اعتذرنا ، كما اننا على استعداد لتعويضكم عن كل ضرر ...

فقال لوبين فى تبسط وتلطف : تفضلا بالجلوس أولا .. ان التعويض الذى ابغيه هو ان تجيبانى على بعض اسئلة اود ان أوجهها قبل رحيلكم ..

الفصـــــل الثالث

قال لوبين بعد برهة : انني اشعر انكما قد تتألمان ، واننى

قد انكا جراحا قديمة فى اعماقكما ، ولكننى سمعت مستر جوميز يتمتم : « كلما فكرت فيها وددت لو اخنقه » فادركت ان ثمة امرأة عزيزة عليه اصابها ضرر على يدى سميث . كما اننى اعجب لرجل ذى مكانة سامية ومرتبة من رتبات الشرف مثل اللورد بروكتهيرست ، يقوم على خرق القانون وهو الذى يحترمه ، والذى كان بوسعه لو ان شرا اصابه ان يلجا الى اعظم وابرع هيئة عرفها التاريخ . الى سكوتلنديارد .

فهتف اللورد : لقد فعلت ، ولا اقول ان رجالها اخفقوا، ولكنهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى نتيجة ، اذ لم يك ثمة ما يهديهم فى بادىء الأمر .

وقال جوميز فى الم : لقد اصبت في حدسك ، وانها لماساة محزنة ، بيد اننا لا نستطيع الافضاء اليك بشيء ..

— لست اضطركما ، ولكننى انذركما انكما ان توفقا ما دمتا على جهل باساليب الاجرام كما رايت .

فقال اللورد : اتعنى يا مستر ديل ان لك بها الماما ؟ ..

— انها هوايتى الوحيدة .. ولقد اعنت حكومتك فى بعض القضايا الدولية الغامضة فليس بغريب ان افكر فى ان ابذل لكما معونتى .

فصاح جوميز : اذن فانت الامريكى الذى سمعت عنه .؟

فتبادل لوبين وفيرا وصديقه نظرة ماكرة وقال : ربما يجوز . الواقع اننى قد لجأت الى الخمول امدا حتى مللت واصبحت اتوق الى ما يعيد الحركة الى ذهنى . وقد اوفق الى مساعدتكما .

قال اللورد : الواقع اننى افضل ان نتصرف كما جئنا .

— وهل يمكن هذا ؟ . الا دعانى احدثكما قليلا .. لقد

عرفت فى مستر جوميز السنيور فينست ارجيللو المعروف فى بوجاتا ..

فبهت جوميز وصاح : اذن فقد عرفتنى ؟.

وقال اللورد وقد اسقط فى يده : اتسمح لى ان اتحدث قليلا الى صديقى على انفراد ؟ .

— هناك حجرة البلياردو فى الطرف الاقصى .

وما ان اتجها نحوها حتى نظرت فيرا وويلد نحوه فى جزع وقلق ، ولكنه قال ايما : لا عليكما .. فلن يحاولا الاعتداء على .. انكما لا تجهلان قدرتى على قراءة خبايا النفوس ..

قالت فيرا : ولكن كيف عرفتهما ؟

— لقد رايت بروكتهيرست فى كولونيا ، ولعبت البولو معه . واما ارجيللو فقد قرات اسمه على حافة قبعته . فتذكرت ان الصحف طالما رددته اثناء عقد صفقة البترول مع شركة شل فى كولومبيا ومن ثم عرفت انه ليس نكرة فى بوجوتا ..

وعاد ارجيللو واللورد . فما ان استقرا في مقعديهما حتى تنهد اللورد وقال :

— الواقع يا مستر ديل اننا لم نخفق فى ابحاثنا كما قد يخيل اليك .. كل ما هناك اننا خلطنا الامور فزدناها تعقيدا ..

فقال لوبين فى هدوء : ذلك لأنكما تسيران دون قائد يوجهكما .. اننى خبير فى علم الاجرام .. ليس ثمة ما يدعوكما الى الخوف او التردد .. فكل ما عليكما ان تضعا ثقتكما فى ثلاثة من الاصدقاء .

وقال اللورد : هل فيكم من يذكر انه قرا عن حادث اختفاء ابنتى ليدى جوان كراتلى .. ؟ ذلك الاختفاء الغريب

ان ينفق المال لابعاد هذه عن طريقه .. ولكن الاقدار شا
ان تموت زوجته قبل الاختطاف بيومين . وهو بعيد عنها
فلما علم وادرك مغبة عمله . اضطر الى الفرار حتى لا ت
اليه يد القانون .. لقد اخبرني هو بكل هذه القصة .
عثرت عليه في سان دييجو وهو يحتضر . وكان هو ال
حدثني عن سميث الذى زاره يوما فى الفندق فى شيك
وهو ينزل بها . فاطلعه على انه عليم بسر وصية جرائد
وعرض عليـــه أن يختطف زوجتي .. ومن ثم عرفت
الاختناق الذى حدث فى لندن دبرته يد هنا فى امريكا
فاقسمت ان انتقم ..

انصت لوبين برهة ثم سأله : ولكن كيف حصلت
صورة هذا الرجل ؟

ـ كان ذلك عن طريق الصدفة ، فقد اعانيها سائ
الذى عثر عليها صدفة أيضا ، اذ نشرت احـــدى صح
شيكاغو صورة سميث بين فريق من الناس فى حفلة العر
الأولى لأحد الاشرطة السينمائية ، فظل يسعى حتى و
الى المصور فابتاع الاصل وعمد الى تكبيره ..

ـ ولكن ، كيف اجتمعت على اللورد بروكنهيرست ؟

ـ كنت اعرفه مذ كان ملحقا عسكريا فى باريس وكن
امثل بلادى هناك .. فلما قص على سائقه قصة زوج
انبانى أن سميث طمانه الى انها سعيدة اذ نقلت الى د
تسودها الهناءة ، حيث تعرفت الى سيدة تدعى ليدى جو
كرانلى .. ومن سميث للبحث عن صديقى اللورد .

واذ هم اللورد وارجيلو ان ينصرفا ، دعاهما لوبين ا
العشاء في الليلة التالية .. وعاد الى فيرا وصديقه فمك
برهة يفكر ثم قال :

ـ ان ما يدهشنى ان القصة توحى بان ثمة هيئة منظ
يتولاها مردة ملاعين لازالة المساكين من طريق من يتقدمو

بغيابهم .. ولو صح هذا ، لكانت اخطر عصبة عرفت ، ولكنني لا اكاد ارى بصيصا من النور يهدى الى الطريق ، وهنا تظهر ميزة الهواة عن رجال البوليس ، فان هؤلاء لا يعتمدون الا على الحقائق المادية ، ولا يستعملون شيئا من الخيال فى ربط الاحتمالات المختلفة .. ان الفكرة الوحيدة الان هى أن ارسل ويمز يطوف بالمدن الكبرى ، عسى ان يقطنه احد مستر سميث المزعوم .

فتاملته فيرا ثم سألته :

ـ ولكن ، كيف تلوح مغتبطا وانت لا تملك دليلا يهديك ؟

ـ ان براسي خطة تستدعى اشتراكك وويلد معى .. ان لكما الخيار فى أن ترفضا ، فلسوف يكون ثمة خطر ليس بالقليل .. ليتنى اريد ان احصل على معلومات داخليـــة عن « المصيدة » التى تستعملها تلك العصبة ، اى أن ادفع بنفسي الى الفخ ، وان اقع فيه .. ولن يتسنى هذا الا اذا تقدم احدكما يرجو معونة العصبة ..

فصاحت فيرا : باللحظة الفظيعة ! .. اننى لا استطيع يا لوبين ..

وقال ويلد : اننى افضل الموت على القبول ..

ـ ان نفس الوحي الذى انذرنى بالخطر الجـــاثم فى الحديقة ، يؤكد لى أن هذه الخطة ناجحة ..

واكب لوبين فى اليوم التالى على البحث فى الصحف القديمة عن حادث اختطاف ابنة اللورد .. فقد خرجت الفتاة التى كانت في الرابعـــة والعشرين من عمرها ، مـــع صديقة لها فى سيارة من قصر ابيها فى نيويورك فى صباح احد ايام الصيف الى ميناء ليمتجتون على مسافة عشرة اميال .. وبينما ذهبت الصديقة الى كنيسة البلدة تشاهد آثارها ، قصدت ليدى جوان الى بعض المحال التجارية ..

على ان تلتقيا لتذهبا للقاء صديقة ثالثة لهما هي ارسولا هيث ابنة المليونير الفيلادلفي جريجوري هيث ، التي قدمت على يخت ابيها الذي كان يرسو في سوينت ..

ثم حدث ان تقابلت صديقة ليدي جوان وتدعى رونا بارسولا ، وظلتا تبحثان عن جـوان ، فما عتمتا ان عثرتا عليها فاذا هي تخبرهما انها قصدت الى يخت ابيها . وكان يرسو في ليمنجتون لأمر ما .. وفيما كان الزورق البخاري يقلها الى اليخت رأت رجلين في زورق اخر يتأملانها خلال منظارين مقربين .. ثم يحاولان اللحاق بزورقها .. لولا ان تعطل محرك زورقهما .

ولكنها وصديقتيها لم توليا القصة اهمية .. ولم يرين ابلاغها للبوليس ظنا منهن ان الرجلين من الشبان الطائشين شاء ان يغازلا جوان .. ولا ريب انهما كانا في الواقع من اعوان سميث .. اذ ما لبثت في الليلة التالية ان اختطفت ليدي جوان . فقد قصدت مع صديقتها ووالدها الى حفلة راقصة كبرى .. حتى اذا حان موعد الانصراف بحث عنها والدها فلم يجد لها اثرا ..

فلما اقبل اللورد واجيللو لتناول العشاء في الليلة التالية بادرهما لوبين متسائلا :

ـ لقد كان ثمة داع لاختطاف مسز ارجيللو حتى تؤول ثروتها لأختها فما الدافع لاختطاف ليدي جوان ؟

فأجابه اللورد : لست أرى أقل حافز فان لقبي يؤول بعدي الى ابن عمي سير روجر كارنلي وهو رجل من كبار ضباط البحرية ولديه من القاب النبل ما يكفيه .. كما ان جوان لم تكن لها ثروة تغري . ثم انها لم تكن مخطوبة لاحد .. وان كان هناك كثيرون من اسرى غرامها ..

فاطرق لوبين برهة ثم سأله : الم تمت مس ارسولا هيث فجاة ؟

ـ اجل ، اثناء وباء الانفلونزا الذي اجتـاح انجلترا في الخريف الذي اعقب اختفاء ابنتي ..

ـ لا تظنني احمق مغرورا ، فلقد اقدمت على الكثير من المغامرات فيما سبق من عمري واني لعظيم الثقة في انني ساوفق الى اجتلاء غوامض هذه القضية وان لم اعثر بعـد على حل او دليل .. وكل ما ابغيه هو الحصول على اخر صورة لليدي جوان .

واذ انصرف الضيفان . تحول لوبين الى سـويز وبادرها قائلا : ان لأسرتك اقارب في فيلادلفيا . فعليك ان ترحلي الى هناك غدا فتعودي الي بمعلومات عن جريجوري هيث ، وعمن ينتفع من جراء موت ارسولا . وان تحاولي الحصول على اخر صورة لمس ارسولا ، او على اوصافها ممن يعرفها كل المعرفة .. واحرصي على ان لا تثير فضول احد حول حركاتك .

ورمقته فيرا في اهتمام فقال لها : لا تعجبي ، فقد لعبت الجولف مرة مع ارسولا وما زلت اذكر انها كانت فارعـة الطول ، زرقاء العينين حمراء الشعر . رفيعة ملفوفة القامة .

فصاحت فيرا : هذه نفس الاوصاف التي سمعتها من اللورد عن ابنته وهو يحدثني .. اتظن ان ليدي جوان اختطفت خطأ بدلا من مس ارسولا ؟ .. لقد كانتا معا في الحفلة ..

ـ لم اتأكد بعد ، ولكن ثمة خطـة في رأسي تختمر .. لا تعارضي . انك لتعرفين كيف حصلت على ثروتي . فلا بد لي من ان انفق بعضها زكاة عنها .. رفهي عنك يا عزيزتي .. فأنا في حاجة لمساعدتك ..

ـ ولكنك تخاطر بنفسك . وما اظنك تزعم ان العصـبية غافلة عن جهود ارجيللو واللورد في البحث عنها . وان افرادها من الغفلة بحيث لم يتعقبوهما .. حتى هنا ؟..

ـ لقد فكرت في كل هذا . ولكن .. اتذكرين مور . .

ذلك البوليس السرى الخاص الذى ساعدنى اخيرا ؟.. لسوف انوط به مراقبة البيت .. ان فى نفسى يقينا من ان الضحيتين ما زالتا على قيد الحياة .. ويزيد من هذا ما ذكره ساتشيه من ان سميث اخبره ان الضحايا يعيشون فى سعادة وان مسز ارجيللو قد تصادقت مع ليدى جوان .. اؤكد لك يا فيرا انها ستكون مغامرة مشوقة رائعة . ولا يحزننك ما قررته من الاندفاع الى الفخ . فلسوف اجعل اصدقائى على اتصال بآثارى اينما ذهبت ...

الفصل الرابع

بعد يومين وكان لدى لوبين صورتان لارسولا هيث وجوان كارتلى ، فاذا بالفارق بين الفتاتين لا يتعدى ان لأوليهما عينين رماديتين ، بينما كانت عينا الاخرى زرقاوين . اما فيما عدا هذا ، فكان الشبه بينهما يكاد لا يعتوره شىء من النقص . وادرك لوبين ما تقرير ويلد ان خال ارسولا ، كان اول من ينتفع من جراء موتها ، فما ان ماتت حتى ابتاع بيرى ستراتج - وهذا اسمه - قصر كونينجتن وارن فى مونتسيتو . وكان من العجيب ان يجتمع خال ارسولا بالشاهد الذى ادلى لارجيلو بتفاصيل اختفاء زوجته ! وكان ثمة نزاع بين ستراتج ووالدة ارسولا حول الميراث الذى آل اليهما عن والدهما ، وهو نزاع جعل جريجورى هيث يدفع اليه نصيبه من الميراث ، ثم يسأله ان لا يزور بيته بعد ذلك ، فضربت بينهما القطيعة .

وقال ويلد معقبا :

لقد كان بيرى موضع اعجابى فى حداثتى اذ كان قويا ، ضخم الجسم ..

وجلس لوبين صامتا يرسم بعض خطوط بقلمه ، ما لبث أن انتظم منها رسم كاريكاتورى لهوراس ويمز بجسمه

السمين ووجهه العريض وعينيه الصغيرتين ، ثم قال :

ـ هذا الدقن يجب ان يبرز قليلا ، وهذا الفم ينبغى ان ينم عن العزم والصلابة ومن ثم يزداد ويمز اقترابا من سميث ..

وكانت الخطة التى وضعها لوبين قد اختمرت .. كان على ويلد ان يزوده بخطاب يقدمه فيه الى مستر بيرى ستراتج على انه انجليزى ثرى يدعى مارتن ديل يريد ان يبتاع بعض الاراضى وقصرا فى فيلادلفيا ومن ثم يرحل لوبين ومعه ويمز الى فيلادلفيا .. بينما يتعمد ويلد فيرا الظهور فى المسارح والمجتمعات فى ابهى زينتهما ، كما لو كانا ينتهزان فرصة غياب لوبين لينهلا من مورد سعادة حرمت عليهما !.. فاذا كان لستراتج يد فى اختطاف جوان كارتلى بدلا من ارسولا هيث ابنة اخته ، التى كان يهمه التخلص منها ليرثها ، فلا ريب ان هذا الخطأ يثقل ضميره لأنه لم يعد فى وسع مختطفى جوان ان يردوها حرصا على اسرارهم . ولذا ، كان من المتوقع ان يتولى ستراتج الذعر اذا لاح له وجه سميث ..

قال ويلد : ولكنك لا تعرف الرجل .. انه خبيث ماكر ، طالما لعب بالغير ..

فقالت فيرا : اتظنك مستطيعا تحويله عن رأيه يا سويز ؟. انك تعرف صلابة رأسه وتصميمه .

وما انقضت خمسة ايام ، حتى كان لوبين فى قصر مستر ستراتج يقدم اليه الخطاب الذى زوده به سويز ويلد .. فاذا مستر ستراتج شخص طويل القامة ، عالى المنكبين عريضهما ، انيق الملبس ، تتبدى فى اخلاقه تلك الخلة التى تتملك اولئك الذين لا يألون جهدا فى التقرب الى من هم اعلى منهم مكانة ، سعيا منهم الى رفع انفسهم فوق المستوى الذى خلقوا عنده .. شأن كل من عرف الغنى حديثا .. وادرك لوبين وهو يتأمله ان من المحتمل ان ينقلب هذا الرجل اذا احرج الى شخص

خطر . فقد كانت القسوة تخلف جذوة في عينيه اخمد اوارها وقتيا .. وسرعان ما وفق لوبين الى اكتساب قلب الرجل في لباقة ، فاذا هما في الامسية التالية لتعارفهما .. يلعبـــان البليارد في نادي مونتسيتو .. وكان ستراتج يحدث لوبين في انشراح .. ينبئه عن عزمه على الرحيل الى انجلترا في الموسم القادم ويسأله ان يقدمه الى بعض علية القوم هناك .. حتى توقف فجأة .. وطغى الذعر على وجهه .. وهو ينظر الى الباب القائم وراء لوبين .. وسأله هذا متصنعا الدهشة ..

واجابه الرجل وهو يشير باصبع مرتجفة نحو الباب :
ذلك الرجل ..! آه .. انك لم تره ..

فاندفع لوبين نحو الباب .. ثم عاد بعد توان يقول :

– ليس هناك من مخلوق ..

فقال الرجل :

– ولكنني رأيته بعيني رأسي .. ولاحظت انك نظرت نحوه بضع ثوان ..

واحس بنظرات لوبين تغمره .. ثم سمعه يسأله في لهجة المعتذر : لا اظنك تتعاطى مخدرا ما .. ؟

– محال .. لقد رأيته بعيني .. ولكنني لم اك انتظر ان اراه وهذا سر ما تولاني ..

– لعلك ممن وهبوا المقدرة على رؤية ما لا يستطيع غيرهم رؤياه .. لا تعجب .. فالعلم الحديث يقر الاتصال بالارواح .. ولكن .. اكان هذا الشخص من اقاربك او اصدقائك ؟

– كلا .. كلا ..

– يقال ان ارواح الموتى تبدو احيانا للاحياء .. وانها في بعض حالات تكون نذيرا بالموت .. ولكنني لا اظنك ارتكبت يوما جريمة تقلق الارواح النائمة .. انه امر غريب جدا ..

ان ظهور هذا الغريب قد اثار ذعرك حتى لكأنك كنت تنظر شبح شخص اغتلته ..

واصر لوبين على ان يرافق الرجل الى قصره ليطمئن على سلامته .. رغم ان ستراتج حاول التخلص منه في احراج ضجر جلي .. ووضح ان لوبين كان مندفعا في تيار الخطة التي وضعها .. اذ كان قد صحب معه ويمز الى فلادلفيا .. فأمره بالاختفاء عن الانظار في حجرته في الفندق .. لا يغادرها الا في دجى المساء .. ليتسلل الى النادي .. فيبدو امام عيني ستراتج يحدق فيه لبضع ثوان .. ثم يختفي ليعود الى نيويورك في اول قطار .. وينتظر عودة لوبين .. ونجحت الخطة .. وادرك لوبين ان خير فرصة له .. هي في ذلك المساء .. واعصاب ستراتج ما زالت متوترة اثر المفاجأة .. ليحاول ان يستل منه السر الذي يسعى اليه ..

وقال لوبين لستراتج عندما عاد هذا الى حجرة المكتبة بعد ان خلفه فيها وحيدا برهة :

– مستر ستراتج ، انني لا اميل للدعاية السخيفة التي كان يمكن ان تبعث الذعر في نفسي لولا انني لست من الرجال ذوي الاعصاب الضعيفة .

فصاح ستراتج مندهشا : ماذا ؟! ماذا تعني ؟!

– لقد رأيت مخلوقا ينظر الي من الباب المظلم القائم في نهاية الحجرة ، فكانت مفاجأة غير سارة . انها حيـــلة .. مستساغة ، فما كنت بالرجل الذي تخشى ان يسرق شيئا من تحفك .

– كيف هذا ؟ . لم يك في الحجرة ســـواك . ومع ذلك فسأسأل الخادم .

ودق الجرس . ثم سأل الخادم عمن كان في الحجرة المجاورة فلما اجابه ان ليس فيها مخلوق ، امره ان يضيء النور فيها

ويبحث في أنحائها . ولكنه لم يجد أحدا . فعاد يقول :

.. ان السيد واهم يا سيدى ..

فتحول لوبين الى صاحب الدار بعد انصراف الخادم قائلا : لم اشأ ان اجادل خادمك ، اذ طرأ ببالى انك ربما كنت تبغى الا يعرف شيئا .

فصاح ستراتج في حدة : يالله !. وما هذا الشيء ؟.

– لا داعى لذكره اذا كنت واثقا ان احدا لم يك هنا سواى ولكن . هل تظن هذا القصر مسكونا بالارواح ؟..

– انني لا اؤمن ان الارواح تسكن قصورا ..

فشرع لوبين في حديث طويل عبثا حاول ستراتج تحويله عنه ، يشرح له خلاله كيف ان المرء اذا قتل شخصا او اساء الى مخلوق ، او اصاب بالغبن امرءا ، فان روح القتيـــل او المساء اليه او المغبون لا تلبث ان تطارد ذلك المرء وتظهر له كي تقلق راحتم وهدوءه .. بل ان الروح قد تقضي عليه في بعض الأحيان انتقاما لصاحبها .

وعفا الحديث بأعصاب ستراتج ، واثار في نفســه ذعرا طاغيا ، تبدى في تلك اللهجة الغاضبة التى راح يذكر فيهـا للوبين انه ضيف غير مرغوب في بقائه في البيت .. ولكن لوبين تعمد ان لا يابه لقوله ، بل مضي في حديثـــه والرجل يكاد يجن :

– ان ظهور ارواح القتلى واشباحهم ظاهرة عادية ، حتى انى لأفكر احيانا في ان القتلة لو عرفوا بها لقلت حوادث الاغتيال .. فان ظهور هذه الاشباح يحمل هؤلاء القتلة الى الجنون ، مما يدفع بهم في كثير من الحالات الى التخلص من الحياة .

ومضى يقص عليه قصص حوادث من هذا القبيل ، زادت من فزع الرجل .. ثم قال : لا تدهش من حديثى هذا ولا تغضب ، فانت لا تتصور كم نتأثر احيانا بأولئك الذين يمرون بحياتنا ،

وربما كنت الليلة ، وعلى غير وعى منى . وسيطا لاحــدى الارواح انقل اليك حديثها ..

فصاح الرجل مذعورا : لى ؟.. بحق الجحيم ، ما هــذا الهذر ؟..

– لسوف اعد بحثا في هذا الموضوع لمعهد الابحاث الروحانية وساسوق خلاله قصة الشبح الذى رأيته في بيتك،في الحجرة المجاورة ، ولكنى طبعا لن اذكر اسمك صريحا ، بل سأطلق عليك اسما اخر .. سميث .

فكان ستراتج يقفز من مقعده لولا ان تشبث به ،وبذل جهدا جبارا حتى تمالك جأشه وقال : اسم لا بأس به على ما اعتقد .. ولعلك ستطلق على القصة ، الرجل الغامض في منزل سميث ؟. »

– هانتذا تخطىء ، فمن ادراك انه رجل ؟ .

– لقد قلت ذلك بنفسك ..

– يا عزيزى مستر ستراتج ، اننا غالبا كتب مغلقة لا تنفذ اليها أعين الغير ، فان لنا غريزة واقية تدفعنا الى الحرص على ان تغلق كتبنا عن غيرنا .. ان ما ذكره وبله عنك كان قسطا ضئيلا بالنسبة للكثير الذى لو عرفه لدهش له .. انالشبح الذى رأيته كان لامرأة ..

قال ســـتراتج متهكما : ولعلك ستقول انها كانت شابة وجميلة ..

– هو كذلك .. وحزينة ايضا .. حتى لقد بعثت نظراتها الرهبة في نفسى .. انك تتهكم لتبعث في نفسك شيئا من الطمأنينه ، ولكن دعنى اصارحك ان ظهور شبح هذه المرأة جعلنى افكر في ان في حياتك ما اقلق هذه الروح الهائمـة المعذبة ..

وراح ستراتج يغالب فزعه ثم قال :

– اتعنى ان هذه الروح التي تزعم ظهورها قد جاءت تتهمني ؟
– اذا لم يك هذا فما الذي يخيفك ؟ .. انك خائف . انني أرى الذعر في عينيك ..
– انك غريب وايم الحق .. فهل لك ان تصف لى هذه المرأة ؟ ..
– ليس فى وسعى وصفها بالالفاظ ، ولكنني سارسم لك شكلا كريكاتوريا لها .
ودون استئذان خطا الى المكتب فتناول قلما وورقة ، ووقف يفكر بضع دقائق والقلق والذعر يزدادان من سترانج تملكا . ثم انكب لوبين يرسم الشكل . وعاد يقول :
– وبهذه المناسبة ، يلوح لى ان رؤيتك شخصا فى النادى ، لم تستطع عيناى رؤياه لحالة اخرى من هذه الحالات التى يتعذر فيها الشرح . انك ولا ريب من اولئك الاشخاص الذين تلجأ اليهم الارواح الشقية لتستخدمهم فى ابراز رسائلها فى الصور المادية . آه ، هانتذا تجول بعينيك فى الحجرة خائفا . ارأيت انني لم اك اهذى فى قولى ان هـذه الظلال المحيطة بالدائرة الضيقة التى يضيئها المصباح . هذه الظلال القائمة تبدو كأشباح طويلة تبسط ذراعيها لتنتزعك من مكانك . . ولكن ، اتعرف صاحبة هذا الرسم ؟
وبدا صوت لوبين جافا آمرا وهو يدفع اليه الصورة التى رسمها فى عداء ظاهر ، فما وقعت عليها عينا سترانج حتى ندت عنه بالرغم منه صيحة جزعة خافتة . وتداعت مقاومته . وخارت عزيمته . واحس انه يجابه اخيرا شخصا ارسلته اليه الاقدار الخفية ليسأله الحساب عما اتى من اعمال ..
وقال لوبين : ارى انك تعرفها انها ضحيتك . جوان كارتى التى اختطفها اعوانك ذات ليلة فى نيوفورست ظنا منهم انها

ارسولا ابنة شقيقتك . انني اعرف ذلك الوجه الذى تبدى لك فى النادى . انه وجه سميث ، فقد احضرته الى مونتسيتو .
فشهق سترانج ، وقال وقد تبدى استسلامه : وماذا تريد منى ؟ .
– ان تقول الحق ، لمصلحتك . هناك بعض نقط فى قصة سميث اريد التأكد من صدقها : فى اى عنوان قابلته اول مرة ؟ ..
– فى « بناية اهيرن » بشارع باين ، بنيويورك .
– والى اين يأخذ ضحاياه ؟ ..
– لقد ابى ان يطلعنى ..
– اذن فدعنى اذكر لك ان نجاتك معلقة على امر واحد .. على اعتراف صريح مستفيض بكل شىء ..
وحاول سترانج ان يتهرب ، حتى اذا سد لوبين فى وجهه كل المسالك ، كانت قواه قد خارت ، وتبدى فى حالة مؤلمة لان لها قلب لوبين .. القلب الجامد الجاحد الذى ما كان ليلين فى اكثر المواقف رهبة وفظاعة . فتركه على ان يستمع الى اعترافه فى الغد . وان ارسل الى فيرا فى نفس الليلة خطابا بعنوان سميث لتسلمه الى المخبر الخاص مور . ولكنه عندما عاد فى اليوم التالى وجد ان بيرى سترانج قد قتل نفسه قبل مقدمه بدقائق ..
بيد ان لوبين عاد الى نيويورك وقد حصل من الشكوك التى كانت تحوم فى رأسه على نسيج يفيد منه .

الفصل الخامس

كان دافيد مور من المخبرين القليلين الذين حازوا اعجاب لوبين وتقديره ، حتى انه لم يتردد عن الاستعانة بجهوده فى بعض مغامراته الاخيرة .. فقد كان مور من الناس الذين لا ينساقون وراء الاوهام ، والذين لا يترددون عن السير وراء

ما يريبهم حتى يصلوا اخيرا الى اليقين والحقيقة ..
لذلك كان لوبين مطمئنا كل الاطمئنان الى التقرير ا
قدمه اليه عند عودته ، عن سميث فقد جرؤ فزار سميث ع
مندوب احدى الشركات التجارية جاء يعرض عليه منتج
شركته ، فاذا به يقطن فى مسكن لا تليفون فيه ولا خاد
استأجره لعام انصرمت منه ستة اشهر ، فكان لزواره ان يد
مطمئنين الى ان احدا لن يراهم او يعرفهم .
ورأى مور فيه رجلا حازم التصرف ، حريصا على ان لا
اهتمام احد بأمره ..
وقال لوبين اذ انتهى من قراءة تقرير مور : ها قد ع
يا سويز كل ما يهمك عن سميث ، حتى اذا حانت الس
الملائمة ، امكنك ان تزوره مزودا بما يساعدك على اتقان د
.. لقد حجزت ثلاثة مقاعد فى حفلة افتتاح مسرح برودو
ولكن مقعدى سيتأخر عن مقعدك ومقعد فيرا بأربعة صفو
وسيكون الى احد الجانبين ، حتى ابدو كالزوج المهجور ..
مهلا ، لا تعترض انت وفيرا ، فهكذا يتطلب منكما دورا ك
فى المغامرة ، ولا بد لكما من مســــاعدتى ، حتى تنقذ
يعيشون فى عداد الاموات ، فان لدى شبه يقين ان خ
ستنجح .. وفي هذه الحفلة التى لا يتأخر عن حضورها
مخلوق ، سيحدث احد امرين .. اما ان يسعى سميث الي
لمساعدتكما فى التخلص من الزوج البغيض ، واما ان يـ
اليه سويز يسأله العون لازاحتى عن طريقه حتى يتزوج في
فصاح ويلد : ولكن .. هب انهم اخذوك الى حيث لا يمك
الرجوع قط !.. اننى اذ ذاك لن ارتاح وانا ارى نفسى
موقف القاتل ، كما ان فيرا ستمقتنى وقد تشكونى الى البولي
فيموت عمى لفرط خوفه من الفضيحة والعار .!
– ولكننى سأعود ، اذ سأجعل مور فى اثرى بطريقة

ليها معه ، ومن ثم يغدو فى وسعكم اقتناص العصـــبة ..
لكنك ينبغى ان تكون صريحا والا رفض سميث الصفقة مهما
نعت له ، اذا اشتم ما يريبه ..
وبعد ايام ، وقف سويز امام مسكن جورج سميث ، يتأهب
للمغامرة ، ويحاول التغلب على اضطرابه ، والتظاهر بمظهر
الخائف الذى يخشى ان يكون ثمة من يراقبه ، ثم هز باب
المسكن ، وسرعان ما سمع وقع اقدام رأى بعدها سميث ينظر
اليه خلال عينيه الضيقتين الفاحصتين . حتى اذا اطمأن دعاه
الى الدخول فى تلطف ، فاذا هو فى مكتب وثير الاثاث ، وان
لم يحو شيئا يساعد على الاحتفاظ له بصورة خاصــــة فى
الذاكرة .. وبادره سميث بحديث رقيق متشعب فتناولا ورا
الســــاعة كثيرة ، وقدم اليه سيجارا فخما انيقا ، كأنما يساعده
على الاطمئنان ، والتخلص من كل ما يبعث القلق والانفعال فى
نفسه . واخيرا سأله :
– انى لاسائل نفسى ، هل هناك اصدقاء مشتركون لكلينا
.. اعنى اصدقاء لى هم فى نفس الوقت من اصحابك ؟
وكان ويلد قليلة الوقت يدرس مظهره ويحاول الوصول الى
اعماق نفســه .. ولكنه بادر يجيبه :
– اظن ذلك . لقد كنت اقوم ببعض صفقات آبار البترول
فى بوجوتا ، حين التقيت بصديق نصحنى ان اعتمد عليك
كلما وجدت نفسى فى حاجة الى استثمار اموالى فى اى مشروع
– وما اسم هذا الصديق ؟
– سانشيه .
– يا للصديق المسكين . لقد بلغنى انه مات .. وكيف
عرفته ؟
– يحسن ان ابقى هذا سرا حتى يتوطد التعارف بيننا ،
كل ما اذكره لك اننى اعرف انه كان سيغدو مدينالمعونتك

بكل ثروته . لولا ان دورة من دورات الحظ افقدته هـ... الثروة .

- هذا يكفي . ولكن ، الا ترى ان بطاقتك ليست اثباتا كا... لشخصيتك ؟

- هناك جواز سفري ، وقبعتي ، ودفتر رصيدي في المصرف كلها تحمل اسمي .

فتقدم سميث يفحصها في اهتمام ، ثم تحول يسأله : وكيف يمكنني خدمتك ؟ . انني أعيش كي أساعد الآخرين . هل جئتني لأمر يتصل بعمك ؟ .

- كلا ، ولكنه يختص بي وحدي ..

ثم تلفت حوله في حذر كأنما يستوثق ان احدا غير سميث لا يسمعه . ثم انطلق يقول له أن اقصى اماني عمه ان يراه متزوجا مستقرا في حياته ، فهو يخشى ان يثير مسلكه فضيحة تشوه الاسرة ، ومن ثم كان لا بد ان يلجأ اليه يسأله معونته بعد أن تحدثت الصحف كثيرا في الايام الاخيرة عن علاقته بسيدة متزوجة . فان الذي يعتكر عليه وحبيبته صفو هناءتهما ان زوجها لن يقبل ان يطلقها ، وحتى انه لو فعل فان عمه لن يحتمل ان يذكر اسمه في قضية طلاق .

وقال سميث : المسأله بسيطة .. هذا الزوج يقف معترضا سبيل شخصين نحو السعادة .. هذا امر جد سيء ، فماذا اعتزمتما ؟ ..

قال ويلد متلعثما : ظننت .. فكرت .. اعني استنتجت من حديث سانشيه انك ..

- لندخل في الصفقة رأسا .. فاذا لم يك في وسعك ان تدفع عمولتي ، ففي وسعي ان انسى كل شيء ..

- في امكاني ان استحوذ على سبعين الف دولار في اية ساعة شئت ..

فاشرق وجه سميث وقال : الا ترى انك حسن الحظ .. ان المغامرة ستتكلف حوالى هذا المبلغ .. خمسون الف للعملية ثم هناك بعض النفقات .. وعمولتي ..

وتبدى في حركات الرجل وبريق عينيه ما بعث الذعر الى قلب ويلد .. حتى خيل اليه ان الاكذوبة لن تلبث ان تعود الى مأساة .. ولكنه كان مضطراً الى الانصياع لتعليمات رئيسه .. وحاول ان يساوم سميث .. ولكن هذا ابى ان يتزحزح عن المبلغ الذى طلبه .. فقال ويلد اخيرا :

- حسنا .. ولكن .. اتظن انه لن يحدث ما يعترض خطتكم ويعرقلها .. ؟

- انني واثق من حسن استعداد جماعتنا .. ان هناك كثيرين يعملون معي .. وقد سجلت مغامراتنا السابقة نجاحا مستمرا لنا .. فاذا قبلت .. فلا بد لي من ان ارى الرجل من حيث لا يراني .. ومن ثم امد زملائي بكل ما يلزم عنه .. ولكن بشرط واحد . بشرط ان استلم المبلغ كله نقدا قبـــل اية حركة .

واحس ويلد ان الرجل يرقبه في انتباه .. فعاد يندمج في دوره وساله :

- وماذا يحدث له بعد ذلك .. ؟

- بعد ذلك .. يسدل الستار .. !

- انني لا أود ان تقتل روح من اجلي ..

- وما كان في وسعك ان تجد هنا من يعينك على القتل .. اننا لا نطفىء الشعلة الحيوية ، فان الرئيس يحرص على ان تكون مؤسسته كمعمل يقوم لدراسة العواطف الانسانية ..

- ومتى استطيع ان اراه .. ؟

فضحك سميث في خبث قائلا : عندما يدفع شخص خمسين

الف دولار لازاحتك عن طريقه وانتخابك عضوا في مؤسس...
انه ليوم اسود ذلك الذى تراه فيه ..

فقال فى اشفاق : يخيل الى انكم تتعرضون لافظع الاخط...

ـ تخطىء الظن ، فنحن على حذر ، لا تطلع احد على سر... تحتفظ بسجلات ولا تستطيع مصلحة الضرائب او الاتا... السجل التجارى ان تسالنى ان اعرض عليها اعمالى . فق... لمكتبى طابع مكاتب الاعمال .. كما ان ماضى نقى نظيف... لا تـزع ، فانما انت تضمن مستقبل صديقك حين تعهد... الينا .. ان معظم ضيوفنا يتمردون فى بادىء الامر ويس... للفرار ثم لا يلبثون ان يستسلموا ويقبلوا على شعارنا « احد... وعنواننا « مدينة الكرم الحاتمى » ..

فنهض ويلد قائلا : ساسير غدا فى الساعة الثالثة والنص... الخمسين امام نادى متروبوليتان ، وسيكون صديقى . ريد... مارتن ديل ، معى .. وهو رجل امريكى طويل اسمر رقيـ... الملامح ، وجيه القسمات . ثم تقصد الى مشرب شاى « ما... اليز » ، حيث تقابل مسز ديل .

ـ حسنا . احضر فى مثل هذا الوقت يوم الخميس وم... المبلغ فابداً عمل الذى سيتكلف اكثر مما تظن .

وتعمد ويلد بعد خروجه ان يعرج على النادى حتى ... اذا اقتفى آثاره سميث ، ان يرتاب فى علاقته بلوبين . وقب... موعد العشاء ، استقل سيارته وانطلق بها فى طرق متعرجـ... مضللا من قد يتبعه ، حتى وصل الى دار لوبين ، فأفضى ... بكل كلمة دارت بينه وبين سميث ..

وقال لوبين اخيرا : وهل صدقت كل قوله عن مؤسستهم... لقد تعمد ان يحملك على الاعتقاد بانها تقوم وسط مدينة كبير... ولكن من الجلى ان المدينة المناسبة لها ، هى تلك التى تقـ... حول دورها اسوار عالية تحجب عن الخارج ما يحدث داخل...

مثل لندن . فهى اذن احدى مدن الدنيا القديمة ولن يعقل ان تكون احدى مدن امريكا . اما عن موعدك غدا مع سميث ، فسأتفق مع مور على ان يتنكر وينطلق فى اثرنا متظاهرا بأنه بائع فقير متجول يتجر بالافلام ..

وكانت دهشة ويلد لا تقدرحين عاد الى سميث يوم الخميس ، فاذا هذا يعرض عليه ست صور مكبرة للوبين فى اوضـــاع مختلفه .. وعلم اخيرا .. ان هذا ارسل احد اعوانه باحدى الالات السينمائية الدقيقة الى مشرب الشاى يوم التقى ويلد ولوبين فيه بفيرا .. فالتقط هذه الصور .. وقبل ان ينصرف ويلد .. القى اليه سميث بتعليماته الاخيرة .. فامره ان يحمل صديقه .. باغراء من الزوجة الخائنة .. على السفر الى اوروبا .. فان الدار المعدة للمختطفين تقوم فى احـــدى مدنها ..

واستطرد سميث قائلا : اننا اليوم فى الخامس من يونيو .. ففى مساء السابع والعشرين منه .. ادع مستر ومسز ديل الى العشاء فى فندق سافوى بلندن .. ولما كانت الموائد تحجز هناك قبل الموعد بايام . كذلك لا نتوقع ان نعمل فى الموعد المحدد .. فقد نرى من الملائم ان نقوم بعملنا قبله او بعده .. ولا يجب ان تثير انت انت ومسز ديل ضجة حول اختفـاء مستر ديل قبل مضى اربع وعشرين ساعة .

فلما عاد ويلد الى لوبين بهذه الانباء .. قرر هذا ان يحجز له ولفيرا فى الغد مكانا على اول باخرة راحلة .. على ان يرحل سويز ويلد على باخرة اخرى ..

الفصل السادس

وصل لوبين وفيرا الى لندن فى اليوم الثانى والعشرين من يونيو .. فنزلا على فندق سافوى . وما لبث سويز ويلد ان لحق بهما فى اليوم التالى فهبط على فندق كلاريدج .. وفى

الدرجة الثانية ، وعلى نفس الباخرة التى اقلته ، قدم مور متنكرا .

وما كاد لوبين يتناول عشاءه يوم وصوله ، حتى اتصل بصديق له يعزه كل معزة .. يحمل اليه نبأ مقدمه ، ويعده ان يتناول العشاء على مائدته فى اليوم التالى .

وكان الان يقف على ابواب المغامرة الجدية ، فكان القلق يستحوذ على فيرا ويقض عليها مضجعها .. وقالت له وهى تحاول ان تثنيه عن عزمه : انك تعرف الان مقر سميث ، فلم لا تتصل بالبوليس ليقبض عليه ؟

فاجابها : لقد اخلى سميث مكتبه ، وقد تأكد مور بنفسه من ذلك .. ولو اننا ابلغنا البوليس لما كان عملنا اكثر من انذار للعصبة بالخطر الذى نعده لها .. الم ينفق بروكنهيرست وارجيللو المال جزافا على رجال البوليس السرى الحكوميين منهم والخصوصيين دون ان يوفقوا الى ثمرة ؟.. لسوف تعلمين وسوين ويلد باختطافى ، وساترك خلفى كل ما يمكننى تركه لمور ليهتدى الى آثارى ، كما ان لى من حياتى السابقة الخبرة التى تجعلنى أفضل غيرى ممن حاولوا استجلاء غوامض هذه القضية .

– وهل أنت بحاجة الى مغامرة جديدة ؟

– ان الظاهر يدعو الى اجابتك بالنفى ، ولكنك تعرفين ان القانون لا ينسى ولا يصفح ، فكان لا بد لى من عمل يجعلنى اقف منه موقف المساوم .. لقد شكرتنى رسميا خمس حكومات اذ استعدت لها ما سرق من اسرارها .. ولقد رفضت ما اعد لى من مكافآت وطلبت انفاقها على أوجه الخير .. ثم ، بقى أن انجح في هذه القضية الكبرى ، ومن ثم يغدو فى وسعى أن أساوم العدالة على حريتى مطمئنا ..

وكانت فيرا جزعة خائفة . ولكنها لم تر ازاء اصراره سوى

الوقوف الى جواره . والمضى فى تكريس مساعداتها له ..

فلما كان مساء الغد ، ذهب لوبين الى صديقه وفاء بموعده .. فاحست فيرا انها فى حاجة الى النوم مبكرة ، فاوت الى فراشها ، ولكن عبثا حاولت استجلاب النوم الى عينيها ، اذ راحت الافكار تطارده ، فلم تلبث ان غادرت فراشها ، ووقفت فى نافذة حجرتها تطل على نهر التيمز وهى تحس قلقا خفيا. حتى اذا انتصف الليل ، فوجئت بجرس التليفون يدعوها ، فاذا بالمتكلم صديق لوبين ، يسألها سر تأخره وعدم بره بموعده . واوشكت ان تصيح جزعة ، ولكنها تذكرت امر لوبين بتكتم اختفائه حتى تمضى اربع وعشرون ساعة ، وايقنت أن العوامل التى اعتمد لوبين عليها فى خطته قد خانته كما كان قلبها يحدثها ، وان اعداءه قد سبقوه الى العمل . وفى جهد تمالكت نفسها واعتذرت للصديق بأن دعوة فجائية اضطرت لوبين الى عدم البر بوعده وما ان وضعت السماعة ، حتى عادت ترفعها وتطلب ويلد فى فندق كلاريدج وبمور فى نزل بلومسبرى مزجية اليهما النبأ ، فاقبلا مسرعين .

وبادرتهما فى صوت جزع : لقد اختطفوه .. فبعد التاسعة بقليل استاجر سيارة لتنقله الى شارع جرمين ، ولكنه لم يصل الى هناك .

وطاف الرجلان بمستشفيات المدينة ومراكز بوليسها ، خشية ان يكون تغيبه نتيجة حادث ما ، ولكنهما عادا مخفقين . ووجد مور نفسه فى حيرة ، فقد كان يعتمد على الآثار التى وعده لوبين ان يتركها فى طريقه لترشده الى اتجاهه . فاذا هو عاجز عن الاطمئنان الى مصير الرجل الذى كان رحيما به .. وتبدى ويلد مذهولا مفجوعا .

اما لوبين فما كاد يصعد الى السيارة التى استدعاها له خادم الفندق ، حتى احس بأعصابه تغدو جد مرهقة .. وبهاجس فى

اعماقه يوحى اليه بالريب .. ولكنه عزا ذلك الى المغامرة التى كان متوقعا حدوثها بعد ايام قلائل .

ومضي يفكر في الخطة التى سيتبعها كل من فيرا وورلد ومور .. واخذ يراجع كل دقيقة فى تدبيره .. حتى لا تؤدى غلطة تافهة الى افساد كل شيء ..

والقى عرضا نظرة خلال السيارة الزجاجية .. فاذا هو فى شارع جرمين فاخذ يتأمل ما حوله ، شارع الدوق .. ميدان بيكاديللي عن كثب . ثم عاد الى افكاره فاذا بالسيارة تقف بعد برهة امام مبنى قديم .. وجد عنده خادما قاده الى الداخل خلال ممر طويل .. الى سلم واسع .. ثم افضيا الى ردهة فسارا حتى باب احد الشقق .

وساله لوبين : اهنا صديقى سير جريفيث وادهام ؟

فاجابه : أجل يا سيدى .. معذرة .. فاننى عائد لحراسة باب البيت .

وضغط لوبين زرا مثبتا بجانب الباب .. فاذا بالباب يفتح أوتوماتيكيا .. فخطا الى ردهة معتمة .. وما ان عاد الباب يغلق خلفه .. حتى أيقن أنه وقع فى فخ اعد لاصطياده .. فامسك بالباب يهزه .. فاذا هو متين منيع .. وفجـــاة .. أحس بيدين قويتين تقيدان حركة ذراعيه وتشلهما .. ثم اذا به يدفع الى حجرة ذات أثاث وثير .. جلس فيها رجلان .. أحدهما متوسط القامة عريض الصدر ضخم اليدين .. يبدو من مظهره أنه من رجال البحار .. بينما كان ثانيهما لا يتعدى الثلاثين من عمره نحيلا .. اشقر .. انيقـــا .. فى لباس السهرة .. ذكره مرآه بصديقه سوريز ويلد .

وقال الاخير فى لهجة ودية : عم مساء يا صديقى .. لعبة نظيفة ، اليس كذلك ؟

وتقدم الاخير يفتش جيوبه ، وهو ما زال مقيد الذراعين ،

ويفترع مسدسه ، ثم دفعه الشخص الذى فاجاه ، الى احـــد المقاعد الكبيرة فتحول يتـــأمله فاذا هو ضخم الجثة ، كث اللحية ، وراى انه غير مسلح . وبين ثلاثة من اعدائه ، فكبح جماح غضبه وتحول يقـــول : فى اى مستشفى للمجاذيب انا ؟ ..

فاجابه الشاب النحيل : لعمرى ، انه اهدأ عميل صادفناه ، الا دعنى اقدمك لزميلى . فهذا الذى فاجاك وشل حـــركة ذراعيك هو طبيب وجراح مؤسستنا ، وكان يوما ما من كبار الاطباء الباحثين فى كلية ادنبره ، ويدعى كولينز ، وهـــو لا يميل للمزاح فاحذره . اما هذا الآخر فالكابتن هـــونى ، ولكن لا يغرنك اسمه العذب ، فهو جرىء وما دفـــع به الى زمالتنا سوى اقدامه مرة على اغراق سفينة من أجل المبلـــغ الذى كان مؤمنا به عليهـــا . اما انا فادعى ادريان مونتاج ، بدات حياتى فى الســـلك السياسى ، ثم القت بى الحرب الى فرقة الحرس ، لا تعبس يا صديقى ، بل دعنى اقدمك الى نفسك ، فقد كنت تدعى قبـــل مقدمك مســـتر مارتن ديل الامريكى ..

ـ ولكن ، متى تنتهى هذه المهزلة ، اين وادهام ، فانى جد مشوق اليه .

ـ وادهام ؟ .. انه يقطن شارع جرمين ، ولو كنت يقظا ، كما كنا نخشى ، لرات ان السيارة عرجت بك عـــلى شارع بيرى . لعل فى هذا ما يدهشك .. كلا ؟ .. اذن فلانك لم تفهم الموقف بعد .. انك هنا دفين حى . ميت حى .

فصاح لوبين : حسبك .. اننا فى عصر المدنية والامن ، وفى لندن قلب العالم النابض .

فقال هونى فى سأم :

ـ اننا نضيع الوقت وأخشى ان يفوتنا الابحار مع المد .

حيرة اليمة . والى اسر يخضع فيه لارادة الغير .
وانقضى الليل .. وتلاه نهار طويل ممل بطيء في انصرامه .. حتى اذا كان المساء رسا اليخت على رصيف عادي، منعزل كانت تنتظر امامه سيارة . ما لبث ان انتقل اليها لوبين .. فجلس بين كولينز ومونتاج .
وساله مونتاج : أتعرف أين انت الان ؟ ..
– اما في جنوب ويلز . او في سكوتلندا .. ولكنني أحبذ ان تكون في الاخيرة فان في الجو بعض البرودة .
– أصبت .. لقد اجتزنا خليج تاي بين دندى وبيرث ..
وكان لوبين يعرف شمال انجلترا وكان اهم مظاهره ما عرفه عن ان اسكتلندا بلد جبلي كثير المستنقعات ، قليل السكان ، فما كان ثمة ضير منها لاقامة بيت منعزل يأوى اليه المختطفون دون ان يكشف امرهم احد ، وبعد ما قدره لوبين بعشرين ميلا وقفت السيارة امام ابواب حديدية عالية مغلقة ، تقدم منها رجل يحمل مصباحا كهربائيا صغيرا ، ففتحها وحيا مونتاج وسرعان ما اجتازتها السيارة فاحتضنتها اسوار ضخمة سميكة من الجرانيت .

وبعد ميل آخر ، وصلت الى سياج حاجز من الاسلاك لايقل ارتفاعه عن عشرة أقدام هبط السائق ففتحه بمفتاح خاص وعاد الى السيارة يسوقها خلاله ، ثم هبط يغلقه ، وبعد نصف ميل قطعته السيارة على اعشاب وحشائش خضراء رأى لوبين لألاء ماء خلال الظلام ، تراءى خلفه بناء عظيم ذو برج عال فقال مونتاج وهو يتنهد بارتياح :
– ها هو ذا البيت الذى سيغدو موطنا لك ، وانه لجدير بأن تزهو به .
فقاطعه لوبين قائلا : ومتى أرى الرئيس ؟

– عندما يرسل في استدعائك ، ربما الليلة ، وربما بعد شهر ، والى ان يفعل ستظل في معزل عن اهل عالمك الجديد.
– وما هذه المياه .. أهو نهر ؟ ..
– انه المجرى الوحيد الذى لم تجف مياهه في كاليدونيا .
ورأى لوبين ان المجرى يبلغ الخمسين قدما اتساعا ، ويقوم فوقه جسر من الحديد الخفيف وان مستوى المياه يبدأ عند ستة اقدام تحت سطح الارض، ويحيط به جدار من الجرانيت الاملس يبلغ سمكه أقدمين ، وعاد مونتاج يقول :
– اننا سنعبر فوق جسر متحرك يهبط عند اللزوم ويرفع بعد ذلك ، اما هذا الجسر فتراه لا يصل الا الى قاعدة في منتصف المجرى .
وضغط السائق على بوق السيارة فهبط جسر عبره الرجال الثلاثة الى باب الفناء الضخم فضغط مونتاج على زر فاذا بشطر من الباب يفتح ويبدو خلفه احد الحراس ، ما ان رأى وكيل الرئيس حتى انحنى له في خضوع . وتقدموا الى باب آخر قام عند فتحة في سياج صخرى يبلغ العشرة اقدام ارتفاعا والخمسة عشر عرضا . واذ فتح هذا الباب ، انسابت الى اذنى لوبين انغام الموسيقى ، فقال مونتاج :
– ان لدينا جهاز راديو فخما . يحمل الى ضيوفنا اذاعات المحطات البريطانية والاوروبية والامريكية . وبهذه المناسبة ، لن يسمح لك بلقاء زملائك في الامسيات الا اذا ارتديت ملابس السهرة ، فهذه اوامر الرئيس . وستقدمها لك من لدنا وارتداؤها امر اجبارى ، فلا يحسن بك الخروج على النظام أو التمرد .. والآن ، عم مساء وسيصحبك الدكتور كولينز الى حجرتك .
وصحبه الطبيب خلال ردهات وعبر ابواب كانت تفتح بطريقة اوتوماتيكية ، حتى وصلا الى الحجرة ، فشاء لوبين أن

يتلطف اليه . واذا هما يندمجان في حديث طويل عن الرياضة والملاكمة والمصارعة ، وتطرق لوبين في لباقة الى سؤاله :

– أحقا ان مونتاج وكيل الرئيس ؟

– أجل . وانه لجدير بمنصبه ، فهو حفيد دوق ، وخريج ايتون واكسفورد ..

– أو ليس للرئيس اسم يعرف به ؟

– اننا ندعوه عند الضرورة بكابتن اكس ، أى المجهول كما تعرف .

– انه ولا ريب رجل فذ .

– انه أقدر رجل قابلتـــه ويلوح انه مسلح من الوجهة الثقافية بكل ما يحتاج من أسلحة .. فضـــلا عن انه يتحدث بمعظم اللغات .. ولست ادرى اسمه او مركزه خارج هذا المكان ولكننى سمعت مونتاج يقول مرة ان أكس وستانتون . وهو احد ضيوفنا . وفتاة أخرى .. هم فقط الذين يعادلونه فى مكانته الاجتمـــاعية .. ولذا فاربعتهم يكونون الطبقة الارستقراطية هنا ..

– ولكننى لا أظنك تجد هنا كثيراً من العمليات التى تلذ لك كجراح ؟

لقد انقضى امد على آخر عملية اجريتها .. كانت لمونتاج اذ اصابه الجنرال ستانتون – الذى لن تلبث أن تحبه – بضربة فظيعة ..

– ولماذا ؟ ..

– لانه ضايق الفتاة التى قلت لك انها من طبقة راقية .. انها فتاة جميلة .. ليست متعجرفة كبنات اللوردات .

– اذن فهى ابنة لورد ؟

– أجل .. لورد برو كنهيرست .. لقد قيل انها ماتت .. ولكنها هنا .. وان كان الوجود هنا نوعا من الموت .. ولقد تدله مونتاج فى حبها .

– ومن هو الجنرال ستانتون ؟

فابتسم الطبيب وقال فى لهجة ودية وقد احس بميل نحو الضيف الجديد :

– رجل قوى .. مهيب .. رياضى من الدرجـة الاولى .. ولكنك ســتراه بنفسك .. ودعنى اذكرك كما ذكرته هو والكومندوز لادلو الذى أتدرب معه فى الملاكمة كل صباح .. باننى قد أبدو فى حالة ودية كما لو كنا زملاء فى ناد واحد . ولكننى رغم ذلك احد رجال العصبة .. ومن واجبى ان أبلغ الرئاسة عن كل خروج عـلى القانون .. فاننى اخشى غضب الكابتن اكس ..

– حسنا .. وكيف وفد ستانتون على الدار ؟

– هذا ما لا استطيع الافضاء اليك به ..

واقبل مونتاج فى تلك اللحظة فبادره الطبيب قائلا :

– ان مستر ديل يتوق للقاء الرئيس .. وقـد اخفقت فى اقناعه انه لم يعد ذا أهمية أو مركز هنا ..

وتحول الطبيب خارجا .. فقال مونتاج :

دعنى أبشرك بأن الرئيس سمح لك بالمثول بين يديه غدا .

واذا خلا لوبين الى نفســه ، مضى يستعرض كل ما سمعه من احاديث ، ثم تحول يفكر فى كل ما قد يمكن من محـــاولات للخروج من السجن الرهيب .

وبقى فى وحدته حتى مساء اليوم التالى ، اذ نفذ مونتـاج الى الحجرة وفى اثره خادم ضـخم الجسم ، غليظ الشفتين ، يرتسم الشر على محياه ..

وقال مونتاج : هاك نيوتن الحاجب الذى سيقودك الى حيث تلقى الكابتن اكس . خـــلال ردهات لا حصر لهـــا وأبواب وحجرات ، قد تشجعك لخلوها على الاعتداء عليه . ولكن حذار .. لقد حاول غيرك مفاجأة نيوتن فوجدوا فيا خصما لا يرحم

.. انه من الرجال المترسين الخطرين .. كذلك لا تفكر في ان ترشوه . لا لانه أمين . ولكن لان هناك من العوامل الغريبة ما يضطره مرغما الى الاخلاص .. ففي خارج هذا المكان رجال يبتغونه ليقتصوا منه لقاء جريمة اغتيال ارتكبها . ولذا فهو حريص على البقاء هنا ..

وتبع لوبين الرجل الضخم وهو يفكر في هذا الرئيس الذى سيلقاه . ويسائل نفسه : ترى كيف سيكون ؟ وأى نوع من الرجال هو ؟ ..

وقال له نيوتن اذ بلغا بابا حديديا فتحه بمفتاح يحمله ثم تنحى : ادخل . فاجلس على المقعد الذى تجده تحت المصباح الكهربائى فى منتصف الحجرة . ولا تتحرك حتى يؤذن لك .

ووجد ارسين لوبين نفسه في حجرة رحبة كبيرة . لا يضيئها سوى مصباح صغير تدلى من منتصف سقفها . فترك حول وسطها ظلال جدرانها كأشباح قاتمة تبعث الرهبة .. ولكن فى غير قلب لوبين . وانقضى نصف ساعة توترت خلاله أعصابه لفرط ترقبه . ثم رأى فى العتمة بصيص سيجارة يقترب . حتى اذا جذب منها حاملها نفسا رأى لوبين على ضوء توهجها وجها شديد الشحوب . اقترب صاحبه فى خطوات غير مسموعة . ثم مضى يدور حول المقعد . ولوبين يبذل جهدا جبارا حتى لا يحول رأسه ليتبع البصيص . واخيرا مل ارسين لوبين هذه الحيلة فقال : هذا فظيع ..

فأجابه الكابتن اكس فى صوت ذى رنة موسيقية . ينم عن ثقافة صاحبه . وعن شعوره بأنه يكلم شخصا أدنى منه مكانة :

— هذا هو المقصود من الفكرة . فلقد وجدت يا مستر مارتن ديل ان لا شيء يرجع بنفس الرجل الى احاسيس الطفولة أكثر من العتمة والحركات الغريبة ، انها تبعث الخوف .

فصاح لوبين فى حدة : بل انني غاضب لا خائف ، أود ان اعرف لماذا أنا هنا ؟ ومن ارسلني ؟

ـ سل مونتاج عن هذا فانا نادرا ما أعبأ بالتفاصيل . لقد استدعيتك كما استدعى كل قادم جديد .. لكى أؤكد لك ما ستعتبره قسوة منى .. ليس من سبيل الى النجاة من هنا يا مستر ديل . لقد حاول الكثيرون ممن لا يقلون عنك فى شيء فاخفقوا .. ولسوف تحاول وتخفق .. ولقد يخطر لك ان تعبر المجرى سباحة .. ولكن هذا المجرى هو أخطر مكان فى العالم .. تعال ..

وسار نحو الباب فتبعه لوبين وهو يتأمله فيراه فى مثل جسمه .. ولكن الظلام كان يحول بينه وبين ملامحه .. ووجدا نيوتن يقف خارج الباب فقال له الكابتن اكس : خذه الى النافذة يا نيوتن ..

فتبع لوبين الخادم خلال ردهات غير تلك التى قدم خلالها حتى وصلا الى نافذة صغيرة ..

وقال نيوتن وهو يفتحها :

ـ كن حذرا يا سيدى .. انها تطل على المجرى ..

وفكر لوبين .. لكمة واحدة خلف اذنى نيوتن .. ثم قفزة الى المجرى .. يسبح بعدها الى الحرية ، ولكن هاجسا خفيا اوحى اليه ان ثمة خطرا يكمن فى طيات هذه المحاولة .. وفطن الى ما حوله فاذا نيوتن قد اختفى .. واذا بكابتن اكس يقف بجواره وهو يقول :

ـ ها هى ذى فرصة تفلت منك ، ولكنك لا يجب أن تندم ، فما كان بوسعك أن تتغلب على نيوتن الجبار ، كما انك لو تأملت فى أعماق المجرى لرأيت ان ثمة تمساحا ضخما ينتظر فريسة تسوقها له حماقة امثالك من الضيوف المتمردين . لقد سبق ان اقدم على التجربة زميل لك فراح للتمساح طعاما ..

ولا شك ان ذكاءك كفيل بان يرشدك الى اننا تعنى بهـ... التمساح ونوفر له الجو الصالح والمياه المناسبة بالطرق العلميـ... الحديثة . ولكن ، حسبك فقد ازعجت التمساح .

وكبح لوبين غضبه فى جهد وهو يسمع صوت زعانف قو... تضرب صفحة المـاء فى عنف دله على مدى قـسوة التمسا... وضخامته ، ثم لم يلبث ان رأى الوحش المائى الهائل يطفـ... على سطح الماء .

وأحس لوبين انه فى هذه المرة قد اخطأ تقدير ذكاء خصـ... ودهائه واستعداده ..

وسأله : وماذا يقول جيرانك عن الحاجز المقام من الاسلا...

– لا شىء ، فقد اقامته الحكومة عندما كان هذا المكان معتقلا للاسرى من ضباط العدو ، ولكن اذا طاب لك يوما أن تتسلـ... هذه الاسلاك ، فلا تنس ان لدينا مساقط مياه تمدنا بالكهربا...

– أتعنى ان تيارا كهربائيا يجرى فى الاسلاك ؟

– ولكن بطريقة لا تخطر لك ببال ، فلدى هنا خبير كهربائـ... يحتجب عن العالم ، لان ثلثى وجهه قد فقد اثنـاء الحرب ، وبالمناسبة ، هذا الخبير يدعى شرابنل ، وهكذا تجد التمساح والاسلاك الكهربية والاعشاب التى تتخللها المستنقعات والكلاب البوليسية ، كل هذه يجب أن تحسب حسابها فى مغامرتك ، ان الموت الذى يكمن وراء هذه الاخطار قـد سلبنى كثيرا من الضيوف ذوى المكانة الرفيعة ، والواقع يا مسـتر ديل ان هؤلاء الضيوف كأولادى تماما ، فليس ثمـة ما يدعوهم الى الفرار ، اننى احب اسعادهم وقد اكون قاسيا معهم احيانا ، ولكنى لست كذلك دائما .

واستطرد يقول : ستجد هنـا كل ما يساعدك على التسلية .. موسـيقى ، جولف ، تنس ، بليارد ، بريدج ، مكتبة فخمة ، صيد اسماك ، رفاق طيبون .. الا فكر يا عزيزى

فى نعمة الهدوء التى نوفرها لك .. ومع ذلك ، ورغم ان كل خادم هنا لا يتوانى عن التضحية بنفسه فى سبيلى ، فليس ثمة ما يحول بينك وبين محاولة الهرب ، وكل ما ارجوه هو .. ان تكون مبتكرا فى طريقتك .

واحس لوبين يضيق من لهجة الرجل .. اللهجة المفعمة بالثقة والاعتداد والتعالى والسخرية والهزء .. كان رجلا عجيبا ، قوى الاعصاب .. قوى الذهن .. قوى التدبير حتى خيل للوبين انه اخيرا قد هزم .

وعاد اكس يقول ولكن فى لهجة تتبدى خلالها الامر : آسف لانك لن ترانى كثيرا ، فان عينى تؤلماننى . ولكن مونتاج سيوافينى بتقاريره عنك . واذكرك باننى اصر على مراعاة التقاليد الاجتماعية « والبروتوكول » . ان لى هنا ان أملى رغباتى وارادتى يا مستر ديل . فلا تظلم نفسـك بالتمرد عليها .

وصاح ينادى نيوتن ليقول له : قل لمستر مونتاج اننى راض عن نتيجة حديثى مع مستر ديل ولذا ففى وسعه تقديمه الى بقيه الضيوف .

ومرة اخرى تبع لوبين الخادم خلال ردهات وحجرات عارية .. حتى انتهى الى الحجرة التى انزل فيها ، ثم غادره نيوتن مغلقا الباب بمزلاج من الخارج .

وبادره مونتاج فى لهجة جافة : اظن انك ستضطر الى المبيت فى هذه الحجرة الليلة ايضا ، لان القسم الذى خصص لنزولك لم يتم اعداده بعد .. ومنذ الغد يمكن ان تندمج فى زمـرة ضيوفنا .

ولم ينم لوبين ليلته ، فقد كان نهبـا للافكار ، وكان فى شوق الى الغد وما قد يتكشف عنه .

الفصل الثامن

في الساعة السادسة والنصف من المساء التالي ، اقبل نيوتن الى الحجرة يحمل بذلة جديدة للسهرة وقميصا ابيض .. ولم يك ثمة بد للوبين من ارتداء هذه الملابس ، والا حرم من الاختلاط باسرى العصبة ، ومن الاتصال بمسز ارجيللو وليدي جوان .. وما ان فرغ من الاستعداد لهذا العشاء الذي لم يترقب في حياته سواه في لهفة وشوق وفضول ، حتى تبع نيوتن .. وكانت الساعة تقارب السابعة والنصف .. وقاده نيوتن هذه المرة خلال ردهات وحجرات تناثرت فيهما رياش فخمة انيقة ، حتى اشرفا على صالة كبيرة بنيت على الطراز القوطي ومدت في اقصى مؤخرتها موائد عديدة صغيرة ، جلس اليها الضيوف في ملابس السهرة ، ينتظرون وصول الزميل الجديد .. ورجاه نيوتن اذا وصلا الى المدخل ان يتريث برهة ، ريثما يعود وفي صحبته مونتاج الذي تراءى بشوشا رقيقا ، وتقدمه مونتاج الى المدخل ، ثم صاح :

– سيداتي ، سادتي . اقدم لكم مستر مارتن ديل من نيويورك .

واستقرت كل عين على لوبين ، وكلما كان يداخل كل شخص الامل في ان يكون من معارفه ، حتى اذا اشبعوا فضولهم ، ويئسوا من ان يكون من معارفهم السابقين خالجهم شعور جديد من الرضا والقناعة اذ رأوا فيه على كل حال رابطة تذكرهم بدنياهم القديمة ، وأملا في ان يكون مبعوث الاقدار لتحطيم جدران سجنهم . وما عهدوا قط وافدا جديدا في مثل رزانته وثباته .. اذ انحنى لهم في بساطة وتقدم كما لو كان مقبلا على حفلة في بيت اسرة صديقة .

وقال مونتاج : ساجلسك الى مائدة الجنرال ستانتون

وبيستر بوالر الذي قدم من امريكا مثلك .. ألم تسمع عنه من قبل .. لقد كان احد كبار رجال المال .

والتفت لوبين حوله في اهتمام وانتباه . يبحث عن المرأتين اللتين دفع بنفسه الى فكي الاسد من اجلهما . فاذا بليدي جوان صغرى النساء الخمس الموجودات واجملهن وكانت تتحدث في بساطة الى مسز ارجيللو ، وكأنهما في احد المطاعم او الفنادق في احدى عواصم اوربا . فقال الجنرال .

– انها فتاة رائعة الجمال .. لقد كنت على معرفة بسيطة بابيها .. اسمها ليدي جوان كرالي .. اما التي تحادثها فمسز ارجيللو من امريكا الجنوبية .. كانت المسكينة وحيدة حتى قدمت ليدي جون فوجدت فيها زميلة تخاطبها بالاسبانية ..

وبينما انهمك الجميع في تناول الطعام وكانهم فقدوا كل العقل الحصين ، ومثل عصبة كابتن اكس الخبيثة الشديدة شعور بمرارة السجن ، كان لوبين يعجب من وجود مثل هذا الحرص ، في بريطانيا التي اشتهرت بمهارة بوليسها وتوفيقه في الضرب على ايدي اعداء القانون ، ورأى في اطلاق الحرية للاسرى في الحديث ، دليلا على اعتداد الكابتن اكس بخططه وثقته في معداته وعدم خوفه من اي تآمر او تمرد ، وفطن الى ان مستر بوالر يحدثه عن ليدي جوان ، ذاكرا ان مونتاج قد دأب اخيرا على مضايقتها بمغازلاته ، وان لا امل في ان يعارضه احد فلديه من النفوذ ما يمكنه من جعل حياة معارضيه جحيما قطيعا . كما ان الكابتن اكس شغوف به . فلا سبيل الى شكواه اليه .

وتساءل لوبين : واين اكس ؟

فاجابه ستانتون : نادرا ما يتناول عشاءه معنا . فاذا ما

فعل • فانه يجلس الى المائدة القائمة على تلك المنصة البعيـ
عن الضوء حتى لا يؤذى وهجه عينيه • واحيانا يفد على قاعـ
الموسيقى • فهو يجيد العزف •

ولكن ، هيا بنا نتناول القهوة في قاعة الموسيقى ..

ونهض برائر .. فقال ستانتون للوبين : تعـــال اقدمـ
لبقية الزملاء .. قد يبدو هذا مهزلة في نظرك .. ولكنه عمـ
يبعث السرور في نفوسهم .. فانت في نظرهم الحى الوحيـ
وسط زمرة من الموتى ..

وقاده ستانتون صوب النساء الخمس ، فقدمه اولا الى
مدام مارالدا ، وهى سيدة وسيمة ، تغالت في انتقاء الوا
ملابسها ، وفي التحلى بالمجوهرات ، ثم تحولا الى سيد
امريكية في منتصف العمر ، مصغيرة الجسم ، نحيلة . قدمـ
اليه رفيقة باسم سارا ادامسون ، الصحفية التى شـ
الغارة منذ خمس سنوات في احـــدى صحف نيويورك على
المحتكرين من الساسة والتجار وكل صنف من الرجال .

وقالت سارا مبتسمة : تعال يا مســـتر ديل واجلس الى
جوارى لتحدثنى عن امريكا .

ولكنه بادرها اذ ابتعدا عن ستانتون ومـــدام مارالدا
بالسؤال عن هذه الاخيرة ، فأجابته انها كانت من اشـ
مغنيات الأوبرا منذ زمن بعيد ، ثم ساقتها حماقة الحب الى
التعلق بشاب حدث السن أوصت له بكل ثروتها ، فلما ملها
الشاب ، حرص على استبقاء الثروة ، بأن سعى بطريقة ما
الى الكابتن اكس ليزيح المسكينة عن طريقه ..

وولجا اذ ذاك قاعة الموسيقى . فرأى لوبين ليدى جوان
جالسة الى المعزف تغنى في صوت ساحر .. وهمست سارا
ادامسون :

أنظر .. ان ادريان مونتاج يقف هناك .. ان صـــوتها

يجذبه اينما كان .. مع انها تضيق به .. ولكن ما جـــدوى
ضيقها ! . وما الفائدة لو اجتمع الكل واحتجوا على مطاردته
لها بغزله المقيت ؟ .. لا شيء ..

وسألها لوبين ان تقدمه اليها .. كان مصاب ليدى جوان
اكثر من مصاب اى شخص غيرها .. لقـــد فقد الأخرون
حريتهم .. اما هى ، فالى جانب هذا ، رزئت بســـماجة
مونتاج .. وكانت قد يئست من محاولات ستانتون ولادلو
في سبيل تحطيم هذا المعقل البغيض ، ولكنها تطلعت الى وجه
لوبين الباسم ، في امل ، فرأت فيه العزيمة والقوة اللتين
اوحتا اليها أنه ربما استطاع ما عجز غيره عن ادراكه ..

وقدمته ليدى جـــوان الى مسز ارجيللو ، التى اشرق
وجهها حين علمت انه يجيد لغتها الأسبانية بعض الشيء ..

**واقبل في تلك الأثناء الدكتور كولينز ، فحيا اوبين في ود
ثم لم يلبث ان دعاه ليلعب معه البليارد بعض الوقت ، حتى
اذا انتصف الليل ، اقتيد ارسين لوبين الى حجرة الحق بها
حمام ، من تلك الحجر التى كانت الحكومة تخصصها للاسرى
من ضباط الاعداء ، ذات باب من الصلب القوى ، يغلق من
الخارج ، وتذكر لوبين همسة ودعه بها ستانتون وهو منصرف
الى مخدعه قائلا :**

**ـ حتى اذا كان للمرء من الحذق والمهارة في فتح الاقفال ،
فانه لن ينجو من خنجر الحراس الذين يتناوبون السهر فى
الردهات حتى الصباح ..**

**اذن ، فليس في وسع لوبين الخبير بفتح اقوى الأقفال ،
ان يستعين بمهارته هذه في الحصن اللعين . ! وراح مـن
جديد يستعرض كل سبل النجاة التى فكر فيها في ليلته
الماضية . ثم تطرق الى استعراض ما كونه لنفسه من آراء
من افراد العصبة .**

ورغم انه لم ينم الا غرارا ، الا انه كان قد فرغ من ارتداء
ملابسه قبل ان يدق الجـرس الكهربائي ايذانا بالفتح
وتفتح الابواب ، في الصباح التالي .

ووجد لوبين اثناء النهار ان في وسعه الخروج الى الساحة
الخارجية للحصن ، والاقتراب من مجرى الماء دون ان يمنعه
مانع . ولكنه كان رغم ذلك شاعرا بان ثمة عيونا تترصده
اينما ذهب من حيث لا يدري . وراح يرقب المياه الرقراقة
والهزات التي يحدثها تنقلب التمساح القطيع الراقد في
اعماقها ..

واهتدى ارسين لوبين الى مقعد تحت احدى الشجيرات
يستطيع الجالس عليه ان يشاهد الحصن عن كثب في وضوح
فاقبل يتأمله في يقظة ، ويتمعن البرج الذي كان يرتفع حوالي
السبعين قدما فوق مستوى البناء الذي يقوم فوق سطح
الارض الى سبعين قدما أخرى . وخيل اليه ان مظهر
الحصن يبد كئيبا عبوسا لا تكاد تتخلل جدرانه نافذة واحدة
تطل على الخارج ، اللهم الا تلك التي اراه اكس منها التمساح
ليلة مقدمه .. فقد جعلت كل النوافذ من الداخل بحيث
تطل على الحوش الداخلي ..

وتبين ارسين لوبين في بناء البرج طاقات صغيرة بعضها
فوق بعض ، حدس انها فتحت لترسل الضوء الذي ينير
السلم الصاعد الى قمة البرج ..

ومن طرف من الساحة المعشوشبة المعقدة امام الحصن
هب الهواء محملا برائحة دلت لوبين عـلى ان ثمة مزرعة
لتربية الخنازير والمواشي في تلك الناحية ..

وعاد الى الداخل مارا في طريقه بليدي جوان تتحدث الى
مسز ارجيللو ، بنفيتيه اللتين قدم من اجلهما .. ولكنه

بان حياهما بهزة من رأسه وانطلق ليفحص الحوش
الداخلي .. وكان ابرز مالاحظه ان ثمة رجالا لا عمل لهم
الا مراقبة المعتقلين وترصد حركاتهم .. وود لو استطاع
ان يجرب الرشوة معهم ، ولكن ، انى له النقود التي يقدمها)
ولم يكن يحمل في جيبـه حين قدم سوى بضعة جنيهـات
قليلة ..

ورأى مدام مارالدا تدخن سيجارة وهي تتحدث الى رجل
لم يره من قبل .. فصاحت اذ لمحته :

ـ تعال .. انه ليسرني ان اقدم رجلا قويا الى آخر يماثله
.. كومندور لادلو اقـدم اليـك مستر مارتن ديل ، من
نيويورك ..

وتصافح الرجلان .. واحس لوبين لاول وهلة بميل نحو
الرجل القوي الطويل القامة العريض المنكبين ، الذي يمثل
في مظهره رجال البحرية الذين تنجبهم انجلترا لاسطولها
العظيم ..

وساله لوبين : ترى كيف قابلك كابتن اكس بعـد كشف
محاولتك الفرار ؟ ..

ـ لقد هنأني وشكرني اذ نبهته الى طريقة للفرار لم تطرا
على باله .. طريقة القفز على الزانة .. ومن لم وضـع
اسفل الحاجز السلكي مئات الصخور القاسية ذات الاطراف
الحادة ، حتى اذا وقع فوقها الهارب ، اصيب بما يقعده
عن المضي في فراره ..

ودهش لوبين اذ علم في سياق الحديث ان الكابتن اكس
عادة التجول في الليل في الحصن وساحاته . فقال لادلو :

ـ ربما كان يتفقد مراكز الحـراسة ويتأكد من يقظة
القائمين .. فان أنفه اعمال كفيل ان يورده موارد الدمار ..

الفصـــــل التاسع

اتى الأسبوعان اللذان اعقبا هذا
الاهمية لارسين لوبين .. بمعلومات كـ
يتخذهم كابتن اكس عضدا .. لا سيما عن الخدم والاعوان الـ
كان هناك الطاهي الفرنسي بيير الذى ما كان يبدو لأحد
المعتقلين لانزواء المطهى في ركن قاص منعزل من الحصن
كما كان هناك المهندس الكهربائى الذى كان محرما على
شخص ان يعتكر عليه وحدته في المعمل الذى اتخذه التجار
بل لقد كان الكل يتهامسون فيما بينهم ان الموت صعقا بالتيا
الكهربائي ، نصيب كل من يحاول ولوج المعمل ..
هكذا راح ارسين لوبين يحصي عدد الرجال الموجود
خارج حجرات وردهات الحصن ، فلاح له ان هناك اثنـ
في المعمل الكهربائى وسائقا للسيارة وحارسا لحظيرة الخيل
واربعة للعناية بالحديقة . وشخصا يدعى دافيدسن للاشراف
على الكلاب البوليسية . وكان هذا الأخير يعيش في عـدد
من الابنية الصغيرة ضمت حظائر الكلاب داخل السـياج
المقام من الأسلاك .. وكانت ثمة فتحة خلال السياج ينفذ
منها الكلاب الى الفضاء المترامى خلفه اذا ما جن الليل .. ثم
كان هناك حارس وبضعة اشخاص اقامهم اكس في الارض
المعشوشبة التى تمتد خلف السياج السلكى في طريق من
تحدثه نفسه بالفرار .. ومن ثم كانت اية محاولة كتلك التى
اقدم عليها لادلو ، مقدرا لها الفشل ، بينما كانت كل خطة
تشبه ما ابتكره ستانتون ، اقرب الى النجاح ..
ورغم ان برانر كان دائم الحديث الى لوبين . الا انه كان
يكتم في نفسـه استياء منه اذ حاول كثيرا ان يحمله على ان
يتبارى معه في الجولف . فكان يتهرب . وعجب في نفسـه .

كيف يأبى اللعب وهو الذى زعم له انه قد فاز في عـــدة
مباريات كبرى .. ؟ وكيف يرفض ان يلاكم الدكتور كولينز
مع انه ادعى انه قد تدرب على الملاكمة طويلا . ؟ وكيف يقنع
بمشاهدة مباريات التنس دون ان يشترك فيها رغم انه ذكر
انه قد نال عدة جوائز في التنس .. ؟ ومن ثم ، قرر برانر في
نفسه ان هذا المستر ديل ولا شك رجل غريب .. !

كذلك كان ستانتون ولادلو مستاءين منه . لقد املا في هذا القادم الجديد من دنيا الأحياء ان يتمرد وان يحـــاول تحطيم جدران سجنه ليعود الى عالمه ثانية . ولكنهما ما لبثا ان راياه يطرح عنه المرح والهدوء اللذين حاول الظهور بهما في اول الأمر . ويستسلم الى وجوم وتفكير خيل اليهما انهما من مظاهر يأس داخل نفسه ..

وعجبا اذ راحا يريانه يجلس طيلة النهار يحدق في الحصن او فيما يحوطه من فضاء . لا يحير حراكا . كالمشدود او المعتوه .. أو الابله .. ولقد حدث ان اعاره لادلو منظـــارا مقربا . فاذا هو يفر به بعيدا عن الاخرين .. ولم يدر في خلد احد ان هذا المنظار قد اعان لوبين الى حد كبير . وبينما كان برانر وستانتون يظنان ان المسكين فريسة حزن طاغ مرير لأن صديقه وزوجته خاناه وارسلاه الى هذا السجن الرهيب كان هو خلال المنظار يتأمل الحصن وجدرانه الخارجية . ويفحص الارض المحيطة به . والمرتفعات القائمـــة حوله .. والدروب والطرق الموصلة اليه ..

وهكذا خيل للجميع ان لوبين قد اخلد الى الهموم ، حتى كانت ذات ليلة ، وقد جلسوا الى موائد العشاء ، واتخذ لوبين مجلسه المعتاد وظهره نحو مدخل القاعة فكان الجميــع واجمين .. اذ قرر اكس ان يتناول العشاء مع رعيته في ذلك المساء ..

وقبل ان يبدأ الطعام .. اقبل على القاعة مونتاج يصـ[illegible]
ضيفا جديدا ، شابا ، نحيل الجســم .. وتأمله الكل ،
عدا لوبين الذي كان ظهره للباب ، في فضول .. وارهفوا
آذانهم ليسمعوا اسمه . ولكن مونتاج على العكس لم يقد[illegible]
اليهم ، بل سار به نحو مائدة في طرف القاعة ولكنهما ما ان
يمران بمائدة لوبين ، فيرى هذا الضيف الغريب ، حتى [illegible]
الموجودون بصيحة غاضبة ، ثم رأوا لوبين يقفز على الضيف
وهو يزار وقد اتسعت حدقتاه كالمجنون .. وفي اللحظة
التالية .. كان نيوتن قد رفعه عن الضيف الذي طرحه ا[illegible]
ارضا .. وكان جزاؤه ان اقتيد الى سجن منفرد بين[illegible]
تريث اكس ريثما جلس مونتاج والضيف الى مائدتهما
وخف الهرج الذي خلفه الحادث .. ثم نهض وقال :

« سيداتي .. سادتي ، انني اعتذر لكم عن الحادث
واقدم اليكم عضوا مؤقتا في مجتمعنا هذا .. مستر [illegible]
ويلد .. من نيويورك » ..

ولم يسترع الاسم اهتمام احد سوى برانر الذي تقـ[illegible]
يصافح الشاب ذاكرا انه كان من اصدقاء عمه .. ثم لحـ[illegible]
يقول :

– انك لم تصب بسوء من هذا الحادث .. الحمد لله
لقد كنت موقنا منذ قدم هذا الرجل انه صائر الى الجنو[illegible]

فسأله ويلد وقد بدا عليه الاهتمام :

– اذن .. فكأنه كان يتقدم تدريجيا من هذه النهاية .

– اجل . لقد بدأ بأن زعم انه ماهر في لعب الجولف .
ابى مع ذلك ان يباريني ..

وبينما كان الجميع منكبين على طعامهم .. مضى و[illegible]
يفكر فيما بعث لوبين على مهاجمته هكذا . أيكون قد ا[illegible]
لانه قدم قبل ان تنضج خطة لوبين . وبذلك اقــد [illegible]

[illegible] ؟ . ام تراه قد تحقق انه قد فقد اصدقاءه وحريته
ودنياه فساقه هذا الى الجنون ؟ ..

وانصرف مونتاج بعد قليل .. فحاول ستانتون ان يتحدث
الى ويلد .. وكانت مائدته مجاورة له .. ولكن ويلد كان
مستغرقا في افكاره .. فلم يفطن اليه .. فتحول يقــول
لبرانر : ما الذي عناه كابتن اكس حين قال انه ضــيف
مؤقت ؟ .. قط لم تعرف هذا النوع هنا ..

والتفت ويلد نحوهما اذ ذاك فسأل برانر : اتظن ان الرجل
الذي اعتدى علي مجنون ؟ ..

وأكد له برانر ظنه .. وعقب ستانتون قائلا : يجب ان
تذكر اننا هنا مجنونون الى حد ما .. كل اسير خيالات
واوهام خادعة . فمثلا رجل كمستر برانر يظن انه لو عاش
عمرا كافيا .. لاستطاع ان يكسب كل ما اوتينا من نقود ..
بدعواته ايانا الى مباريات الجولف . وانا اعلل النفس بأمل
ان ارى الدنيا ثانية .. واعرف سر مقدمي الى هنا . ودبل
.. فهكذا يدعى الرجل الذي اعتدى عليك .. كان مخلدا الى
الوجوم والاستغراق منذ قدم .. ولعلها حالة من حالات
الجنون المؤقت او الدائم . انني اعترف انه كان رجلا فذا
في ثباته وتمالكه جاشه ..

وتلفت ويلد يستعرض الموجودين .. فوقعت عيناه على
ليدي جوان .. فعرفها لاول وهلة اذ كان قد رأى صورتها
.. واحس باعجاب يداخله بجمالها البـــاهر .. والتقت
نظراتهما لحظة .. فارتجف .. بينما مالت ليدي جوان نحو
مسز ارجيلو تهمس اليها بأنه مليح . ولكنهـــا كانت في
قرارة نفسها غير مرتاحة الى ما وصــفه به اكس من انه
« ضيف مؤقت » فقد خيل لها ان في ذلك ما يعني انه
من افراد العصبة .. فليس لغيرهم ان يأتوا الى الحصن

ثم يغادروه الى العالم الخارجي .. واذن فهو من اعوا
مونتاج .. وهو من المنغمسين فى الجرائم . وتنهدت
حسرة وأسى .. كانت شابة .. ووحيدة تحوطها الوحشا
.. وهاهى ذى ترى ان الرجل الوحيد الذى استثار
اهتمامها شريك لمونتاج فى جرائمه .

وما كان ويلد بالهانىء المغتبط . فلقد وعد ان يقابل
اكس . ولا سيما لأنه لم يك ممن يأتون للاقامة الدائم
بل كل ذنبه أن هونى ربان اليخت اسرف فى التحدث اليه
وهو ثمل .. فراى مونتاج ان لا بد من عرض امره على
الرئيس .. ومن ثم اعتقل مؤقتا ..

وقدمه ستانتون الى ليدى جوان حين انتقل القوم الى
قاعة الموسيقى ، فسألها ان تسمح له أن يراقصها ، وكم
طاب لها أن يراقصها ، وكم طاب لها ان تجده راقصا
ماهرا .. حتى اذا انتهيا ، سألها وهو خافق القلب ان
أن يجلسا للحديث ، اذ انه يشعر باستياء يجعله زاهدا فى
الرقص .

فقالت له : ما كان لصديقك مونتاج ان يهملك ويتركك
للاستياء !.

فصاح وقد تجلت الكراهية لحظة فى عينيه : صديقى لا
انه سبب وجودى هنا .

– ليس لهذا من معنى سوى انك كالربان هونى ، تعمل
لحساب الكابتن اكس ولكنك لاتتردد على الحصن الا فيما
ندر .. لقد قدمت من نيويورك ، ولا ريب ان مستر ديل
المسكين عرفك .. احقا هذا ؟

ووجد نفسه في موقف يتمزق لهوله قلبه . فما
كان فى وسعه ان يخبرها أن اوبين صديق له فيفشي سره ،
وما كان فى مكنته أن يزعم انه عدو له فيفقد كل أمل فى

صداقتها ، ولكنه اسرع يحول مجرى الحديث ، ذاكرا ان
ستانتون وبراتر قد اكدا له جنون الـ (ديل) ، فقالت :
– يا له من مسكين ! . ان الحياة هنا امر فظيع ، ان
عينى تتفتح فيها على مآسي ما كانت لتخطر لى على بال .
فمثلا مستر ديل . كما قيل لى .. ضحية خيانة اقدمت
عليها الزوجة التي كان يوليها كل حبه . ورجل كان يؤثره
بصداقته .. يا للنذالة ..

واسرع ويلد يبتعد بها عن هذا الموضوع قائلا : لقد
اتيت هنا بطريقة حمقاء . لم يرسلنى احد . وانما تقدمت
بنفسى الى الشرك .. اجل ، لقد خدعت فسرت الى الشرك الذى
نصبوه لى ..

وبينما كان الشابان سارحين في مراتع الهناءة ، اقبل
نيوتن فوقف عند كتف ويلد وقال : ان الكابتن اكس يبغى
مقابلتك الآن .

فاجابه ويلد فى ضيق : بعد ان انتهى من هذه
الرقصة .

فصاح نيوتن فى لهجة امرة : االآن ، ام تضطرنى الى
سوقك قسرا ؟

وهمست جوان فى خوف : يجب ان تذهب ، فانت
لا تدرى بعد حقيقة الأمور هنا .

وشيعته بنظرات قلقة ، فتقدم مونتاج وقال وهو ينظر
اليها مقطبا :

– يبدو انك تسرفين فى الاهتمام بضيفنا المؤقت ؟
– انه يرقص فى مهارة . كما ان لكل جديد بهجة ..
– اذن فانت حمقاء يا حبيبتى .. انك لست للزائرين
المؤقتين .. فتذكرى هذا ..
– ولم هو مؤقت ؟

— لان مصيره لم يقرر بعد .. انكم جميعا قد دفع عنكم اجر ونفقات بقائكم . اما مستر ويلد فلم يدفع عنه احد وانما وجدناه بطريقة غير واضحة في اليخت . وكان هوني ثملا فظنه اياي . واندفع في ذكر اشياء خطرة .. وساقتني الصدف الى اليخت في تلك الاثناء . فلم اجد في وسعي سوى ان ارسل هوني الى عمله . وان استبقي ويلد لاحمله الى هنا .. وارجح انه سيرسله الى المطهى ليعمل هناك اذ يكون بمعزل عن بقية الضيوف ..

— وكيف هذا ؟ .. انه سيد محترم !..

— ولكن نفقات اقامته لم تدفع ..

— فصاحت وقد تبينت ان الغيرة تدفع مونتاج الى اقتراح مثل هذا المصير :

— يالله !. ما اظنه راضخا لكم ..

فضحك قائلا : ليس لاحد ان يخرج عن طاعة الرئيس ..

وتحول الى المكتبة . فوجد نيوتن واقفا بالباب .. وكان كل يمقت الآخر .. كان مونتاج يرى ان هذا الحاجب الخادم . يستمرىء سلطة اكثر مما له .. وكان نيوتن يكرهه لانه مقرب للرئيس . ولانه لذلك يفرض عليه نفوذه .

واذ دخل مونتاج . سمع اكس يقول لويلد : انني اعطف على موقفك . ولكن ماذا افعل .. ؟ ان الآخرين قد دفعوا تكاليف اقامتهم . بينما حملت انت الى هنا لانك تسللت الى اليخت واندمجت مع احد رجاله في حديث تعدى ما كان يجب له من نطاق . هناك شيء اكثر من محض الصدفة ، ارسلك الى جريفسند ، لسوف تفضي الى بذلك وان كان هذا لا يمنع من انك ستبقى هنا . ويحسن بك ان تذكر الحقيقة .

— لقد ذهبت الى جريفسند لارى بخنا اعلن في جريدة التيمس انه معروض للبيع . وليس من دليل اقوى من ان الصفحة التي نشر فيها الاعلان . في جيب السترة التي كنت ارتديها حين قدمت الى اليخت فذهبت الى المرفا لاسال عن المكان الذي استطيع ان اتصل فيه بالمعلن . فاذا بي اجد علبة سجاير فضية كنت قد اهديتها منذ زمن لديل وها هي ذي . ولما كنت اعرف انكم قد تسلمتموه . فقد ارتبت في الأمر ، ومن ثم استأجرت قاربا الى اليخت لاتحقق من صدق المراكبي .

فساله اكس : اى مراكبي ؟..

— رجل كان يتسكع عند المرفا . ذكر لي انه رأى اليخت الراسي في المرفا يبحر في مساء ١٢ يونيو . وعلى ظهره سيد هبط من سيارة يساعده اثنان حتى ليكادا يحملانه . مما جعله يظنه ثملا . فقابلت هوني . وفيما انا اتحدث اليه . اقبل هذا الرجل الى اليخت .

ورمى مونتاج بنظرة عدائية . بينما ساله اكس :

— ولكن ، ما الذي دفعك يا سيدي العزيز ؟

— اردت ان استعيد ديل . لقد رحلت الى نيويورك لاقابل رجلكم المدعو سميث .. ولكنه كان قد خلف المسكن الذي يتخذه .. فعن لي عند هذه الفرصة ان اتصل برئاسة جماعتكم ... اجل ، اريد ديل ثانية .. فانه .. فانه .. يلوح لي انها ملتني .. ومن ثم راحت تهددني بان تفضي لعمى بكل شيء .. اذا لم اعد زوجها اليها ..

فقال مونتاج :

— ولكنها الان فقدتكما معا ..

بينما قال اكس : انني آسف من اجلك .. ولكنني لا اجد مناصا من استبقائك ريثما ابت في امرك .. وما دام الأمر

كذلـــك .. فلا مانع لدى من ان تختلط بالآخـــرين وان تشاطرهم مرحهم .. ولكن .. بالمناسبة .. ادع نيـــوتن يا مونتاج ليصحبه الى النافذة المطلة على النهر ..

واذ تبع ويلد نيوتن .. تحول اكس يسأل مونتاج عن رايه فى قصة الاسير ..

فأجابه : لقد تخلى عن العنف والتهيج . ولكن الصـــدمة التى تلقاها اذ راى الرجل الذى خانه ، كانت كفيلة بسلب عقله .. اما الان .. فقد علمت انه عمد الى الصمت كما قال برانز انه كان يراه منحدرا الى هذا المصير تدريجيا ..

— لقد امرت كولينز ان يفحصه ويرفع الى تقريرا عنه .. فهذه مشكلة جديدة .

وانصرف مونتاج عائدا الى قاعة الموســـيقى ، حيث بحث عن ليدى جوان ، وعاد يستأثر بصحبتها .

وقال لها فى خبث : ان صديقك الجديد يشاهد مجرى الماء الان ، ولعله يفكر فى ان يغافل نيوتن ، ويقفز ليكون عشاء شهيا للتمساح .. لا ترتجفى هكذا ! . لقد استطاع مستر ويلد أن يكتسب كل عطفك فى سرعة عجيبة .

فصاحت محنقة : ولا لا ؟ .. الا ترى ان المرء يسره ان يرحب بشخص يفد من دنياه الى هذا المكان اللعين ..

— ولعلك ستضعين زهورا على قبره كل يوم .

فقالت والخوف يزحف الى عينيها : أتريد أن تبعث الذعر الى قلبى .

— ولم الذعر ، فى امكانى ان اعدك بما تطمئنين اليه .. بأننى سوف أتزوجك .. ومن ثم ترين اننى لا أود بقـــاء ويلد ..

— سأقتل نفسى اذ ذاك ..

— فى هذه الحالة ، اضع انا الزهور على قبرك كل يوم . لا تكونى قاسية يا جوان ان الجريمة الوحيدة التى لن اندم عليها ، هى احضارى اياك هنا .. الا دعينى اخبرك بانك كلما تلطفت الى غيرى ، فسيزيدنى هذا قسوة على هؤلاء القوم .

ثم ابتعد عنها .. وما لبث ويلد ان اقبل ، فجلس الى جوارها وعلى وجهه آثار التجربة التى مر بها . وقالت جوان: اننى جد سعيدة لانك لم تقفز الى الماء .

فقال في رقة : احقا ؟ . وددت لو صدق هذا .

ولمحت مونتاج يرقبها من طرف القاعة . فحيت ابتسامتها وقد ذكرت وعيده ونفوذه .

وما لبثت أن اعتذرت لويلد وابتعدت عنه .

في هذه الأثناء . كان كولينز يحرق الارم غيظا . فلقـــد كره الأمر الذى صدر اليه ليفحص لوبين ويقدم عن حـــالته العقلية تقريرا للرئيس . وحاول ان يحتج بانه ليس اخصائيا ـ الامراض العقلية .. ولكن الرئيس اصر على ان تنفـــذ اوامره .. ونصحه ان يحاول استدراج ويلد ليفضي اليـــه بما يعرف عن صديقه السابق . لذلك ما لبث كوليتر ان اقبل على ويلد في اليوم التالى وهو يتبارى مع جوان في التنس .. فقطع عليهما مباراتهما وانتحى به جانبا .. واخبره ان ديل يرفض الأكل والنوم لانه يخشى في احلامه اشباحا تواتيـــه لتنتقم منـــه .. كما انه قد غدا أســـير اوهام خادعة .. وخيالات غريبة مغالية .. ومن ثم جاء يرجوه أن يفضي اليه بما يعلمه عن ديل وعن تاريخ اسرته عسى ان يساعده ذلـــك على علاجه ..

واطرق ويلد برهة خيل لكولينز معها انه يجتر الذكريات .. بينما كان هو يفكر في ان للوبين اسبابا قد دعته ولابد

الى ان تصنع الجنون .. ومن لم فمن واجبه ان يساعده على ذلك . ولذا لم يلبث ان قال :

ـ لقد عرفته منذ امد طويل .. فوجدت فيه شيئا من الشذوذ .. ولكن هذا لا يعني انه كان مخبولا .. كان يرى انه لا يجب ان يكون كغيره .. وكان مسلكه وغروره مبعث تسلية لي ولمسز ديل . كما انني لم اعرف شخصا يكتفي بالقليل من النوم مثله . كان يقنع بساعتين او ثلاث على الاكثر . وكان احيانا مزعم انه امبراطور عظيم .. ذو رعية يسعى بعض افرادها لدس السم له .. ولذا كان لا يستخدم طاهيا . كم تعذبت مسز ديل المسكينة من اجله ! .. تصور انه ظن مرة انني استاجر اشخاصا ليطلوا عليه من نوافذ داره ويخرجوا له السنتهم ؟

ـ هذا ما كنت اود معرفته . ولعله كان يسمع اصواتا ، ويرى احلاما .

ـ اجل . ولكنه كان في بعض الأحيان يمكث شهرا وهو في حال عادية . ولقد عرفت ان اباه قضى زمنا في احد مصحات الارساليات . كما كانت امه خبيرة تقوم بتجاربها في الجلود المدبوغة . اما اخوته واخواته فقد ماتوا في حداثتهم .

وتأمل ويلد الطبيب وهو ينصرف . فارتسمت على شفتيه ابتسامة ماكرة . ثم تحول الى جوان قائلا : هيا بنا لنتسلى باطعام التمساح .. اترتجفين ! .. انك واهمة . لقد ملأت جيوبي بالبسكويت من اجله .

فالقت نظرة سريعة الى حيث كان مونتاج . ثم خرجت في عجلة وويلد يتبعها حتى وصلا الى مقعد بعيد . واذ ذاك قال ويلد وهو يفكر في مونتاج ومدى نفوذه :

ـ أية مأساة هذه التي تجتازينها ايتها الصغيرة المسكينة .

وأية مأساة لي انا ايضا اما فكرت مرة فيما كان يحدث لو اننا تقابلنا خارج هذا المكان يا جوان .

ـ لقد فكرت في ذلك مرارا .. عندما كنت في الخارج ، كان الشبان يلتفون حولي ويسعون لخطب ودي فلا اباليهم . ولا اجد بينهم من يستطيع أن يستثير اهتمامي . اما الآن وفي سجني فهانذا اعثر عليه .. اواه يا سويز . اين هي العدالة ؟ ..

ـ لست يائسا يا عزيزتي .. ان هذا الحصن لابد ان يدك يوما . وان في نفسي هاجسا خفيا يوحي الى ان هذا اليوم جد قريب .. واذ ذاك استطيع ان اقدمك لعمي ولأمي . ولسوف يحبانك ..

ـ لقد خالجني هذا الأمل في بادىء الامر .. هكذا الحال مع كل قادم جديد .. ثم .. يخبو الامل ويستسلم المرء لهذه الحياة ..

وود ويلد لو يحدثها عن يقينه في لوبين .. اليقين الذي بعث هذا الأمل في نفسه . ولكنه لم يك في حل من ان يكشف عن حقيقة صديقه واغراضه لمخلوق ما . مهما كان هذا المخلوق ..

وعادت تقول : حاول ان لا تجلب على نفسك نقمة مونتاج .. ان الدكتور كولينز لطيف ودود . ولكن مونتاج هو صاحب النفوذ .. ولقد يحدث احيانا أن لا ترى الكلتين اكثر لاسابيع طويلة . فيكون الامر والسلطة لمونتاج .

ـ لست بطبيعتي ممن ينساقون مع الخيال يا عزيزتي .. ولكني أؤكد لك ان ثمة قوى تعمل من اجلنا .. دون ان يحس بها هؤلاء الوحوش .

واومضت عيناه فجأة بوميض من الأمل .. وشاعت في وجهها الابتسامة ثانية .. وتضرجت وجنتاها وهي تهتف : اواه ياسويز لا . سأحاول ان أؤمن بما تؤمن به .

الفصل العاشر

ضغط الدكتور كولينز زر جرس عند باب البرج .. لم يك ليجرؤ على ضغطه سوى نيوتن ومونتاج ـ فاذا فتح الباب الحديدى من تلقاء نفسه . اوتوماتيكيا . كان ذلك اشارة من الرئيس تنم عن موافقته على استقبال القادم .. فيصعد هذا سلما مهدم الدرجات .. ملتويا على نفسه التواء حلزونيا .. بين جدارين ضيقين .. حتى يصل الى حجرتين . لا تصلح الخارجية منهما للاقامة لما كان بها من تهدم . وعندهما ياتى القادم على باب حديدى آخر . فيضغط زرا ثانيا . فيفتح الباب من تلقاء نفسه ايضا . ويصعد القادم مائة درجة اخرى تفضى به الى المسكن الذى اتخذه الكابتن اكس لاقامته .. وهذا ما فعله الدكتور كولينز الذى لم يحظ بمثل هذه الزيارة خلال الخمس السنوات التى قضاها وسط العصبة ، سوى ثلاث مرات .. وكان هذا المسكن يتكون من حجرة داخلية واخرى خارجية تشمل حوالى نصف اتساع البرج . اى حوالى الستين قدما طولا والثلاثين عرضا . والعشرين ارتفاعا .. وقد اثثت باثاث من الطراز الانجليزى العتيق . وقام فى ركنها الاقصى معزف ضخم من الابنوس اللامع .

كان هذا البرج العتيق قد اصلح وادخلت عليه معدات حديثة لتقويته وتحصينه .

وكان اكس يجلس فى الحجرة الامامية . حين قدم كولينز تحيط بمقعده ازرار كهربائية يستعملها في فتح بابى البرج دون ان يتحرك .. فاشار لكولينز الى مقعد وضع تحت الضوء حتى تبين ملامح وجهه .

وانطلق كولينز يفضي بتقريره ذاكرا انه يرى ان خيل « ديل » ـ لوبين ـ من ذلك النوع الذى ينشا عن المغالاة في

الخيال والاوهام . وفي تاريخ اسرته ما ينم عن ان هذا الخبل قد انتقل اليه بالوراثة لم سرد كولينز ما سمعه من حديث ويلد ، وعقب عليه بانه زار ديل في سجنه الانفرادى فاذا هو هادىء واجم خائر الاعصاب ، شاحب الوجه ، واذا هو يقدم للطبيب يده كي يقبلها ، وقد احاط اصابعه بالاطراف المذهبة للسجاير ، ولف راسه بمنشفة ، ليبدو كما حلا له ان يبدو ، ملكا للحصن .. وكان كل ما رآه كولينز من علاج اله ان حمله على ازدراد جرعة من شراب مخدر ، اذ راى ان كل ما يحتاجه لا يتعدى قسطا وافرا من النوم .

وساله اكس اذ فرغ من تقريره : احقا ان ليدى جوان قد تعلقت بذلك الشاب ويلد الى الحد الذى يدعو الى قلق مونتاج .. ان ويلد ليس من ذوى الاقامة الدائمة بيننا ، كما ان مونتاج هو اقرب رجالنا الينا ، لذلك ارجو ان تبحث فى المكتبة عن تقاليد الزواج الاسكتلندى ، فاننى أظن انها تنص على ان الزواج يصح لمجرد الاعتراف المتبادل دون حاجة الى مراسم .

ـ ولكن الفتاة مجنونة بويلد ، وكذلك هو مولع بها ، ولو ان مونتاج تزوجها لادى الامر به الى ثورة تراق فيها الدماء .

فصاح اكس في حدة : لم اسالك رايك ، ولن يحدث ما تزعم .. بل ولن يكون لويلد ان يعترض رغبة احد رجالنا . وما يزال في الحصن حجرات وردهات منعزلة مهجورة لا حصر لها على استعداد لاستقباله ، فنحن لا نشغل اكثر من خمس الحصن .. ثم ان مونتاج ينحدر من اسرة لا تقل عن اسرة ليدى جوان عراقة ومجدا .

فجرؤ كولينز على ان يقول : اوليست في قلبك عاطفة انسانية ؟

ـ لا .. ان العطف ليس كل شيء ، وليس الحب كل دعائم الزواج والحياة .

— بل ان لدى من البراهين ما يدعمه .. انظري ال
الارتباك الذى يعزو فارسك النبيل .. وهل كنت تنتظرين
ان اطلق له العنان كي يسلبني اياك ، دون ان تكون لدى
الثقة في ان بوسعي ايقافه في الوقت المناسب .. العريس
السبب الذى جاء من اجله مستر مارتن ديل هنا .
فاجابت وقد بدا القلق يساورها : لأن زوجته احب
شخصا آخر ..
— اجل . احبت اقرب اصدقائه اليه .. الصديق الذى
دفع نفقات حمله الى هنا .. وها هو ذا هذا الصديق .
وتبدى اليأس على وجه ويلد ، وتولاه الحرج . فما كا
بوسعه ان يدافع عن نفسه خشية ان يفضح خطة لوبين ..
وكان من اقسى الآلام ذلك الالم الذى غشيه اذ احس بالشك
يتسرب الى نفس جوان .. وآلمه ما تبدى في نظراتها من الا
وحزن طاغ .. ولكنه كان مضطرا الى ان لا يعالج الجرح
الذى اصاب قلبها وان يدع الدماء تنزف منه ، وهو مكتوف
اليدين .. ونظرت اليه جوان لحظة ، ثم اكتسح القنوط كل
شيء .. وهتفت وهى تغادر الحجرة : لقد تم كل شيء قبل
الدقائق الخمس التى حددتها . كان الدكتور كولينز صادقا..
ليس لشيء ان يدوم .
فقال مونتاج : لا تيئس يا صديقي ، فلسوف اشفى هذا
الجرح ..
ولكن ويلد قفز عليه في غضب جنوني ، فلم ينقذه غير
مقدم لنوتن ، الذى رفع الشاب عن مونتاج ، ونظر الى الجرح
الذى قطع شفة هذا الأخير ، والى الكدمة التى احاطت بعينه
ثم هز رأسه اسفا لان ويلد لم يحسن تسديد لكماته ..
وفى تلك الاثناء ، كان النوم الطويل ، والراحة ، قد هدأ
من اعصاب لوبين ، حتى ان الدكتور كولينز لم ير مانعا ، وقد

نى ويلد من طريق لوبين اذ زج به في سجن انفرادى ..
ان يسمح للوبين بان يعود الى مخالطة بقية الضيوف ..
الجميع شاهدوا ان هذا قد غدا رجلا آخر .. اذ عاد
وقد شحب وجهه وتغضن ، ووهنت قواه ، وكأنما الايام
قضاها في معزلة قد اضافت الى عمره اعواما .
ولاحظ الكل انه قد فقد رزانته وحكمته القديمتين ، فلم
يتورع من ان يلتقط من الأرض الاشياء التافهة ، واعقاب
السجاير ، وقطع الورق الملونة ، وانما فارقه ذكاؤه ، وعاد
له به الى مرحلة الطفولة . حتى مشيته تغيرت ، فتثاقلت
واته ، وغدت خطواته ملتوية متعجرفة .. واصبح يجفل
من عرفهم من قبل ، ولا يطمئن لغير مسز بليك يجالسها
الساعات الطويلة دون ملل ينظر اليها بنظرة الطفل الى
مربيته ويسألها من وقت لآخر عن سير الحياة في الحصن ،
او عن كابتن اكس ، اسئلة تبدو انها بريئة ساذجة .. حتى
اذا حصل منها على ما يكفيه من معلومات كان يتوق اليها عل
علم من مس سارا ادامسون ان لمسز بليك ذاكرة قوية تحول
نها ليقضي طيلة النهار متجولا وقد تأبط كراسة للرسم
واخذ يملأها برسوم ركيكة ..
ولم يعد احد من رجال اكس يخشى شره .. حتى
الذين اعتقدوا انه اصبح في عداد الملائكة ما دام قد
فقد رشده ، فلم يشاءون ان يزعجوه .. ومن ثم اصبح
يقضي معظم اوقاته عند الجسر الحديدى ، يرقب مجرى
الماء والتماسح في سذاجة المجانين ..
وحدث في ساعة مبكرة ذات صباح ، ان خرجت ليدى
جوان تتجول بين الاشجار تنشد السلوة اثر الصدمة التى
اصابت هواها ، حين اقبلت عليه صدفة فاوشك الذعر ان
يتملكها ، لولا ان الاشفاق اكتسحه من نفسها ، فانحنت عليه

كما لو كان طفلا حدثا وسألته ان يريها رسومه .. وفيما هي تفعل ، همس لها : عودي الى الاشـجار دون ان يرتاب احد في حركتك ..

ودهشت ، بل وتولاها الخوف ، ولكنها سارت الى جواره وهي تتصنع الاستغراق في تأمل الرسوم حتى اذا اقبلا على مقعد صخري بعيد عن اعين الرقباء والمتطفلين ، قال لها وقد انجابت عنه معالم الجنون : انني لست مجنونا يا ليدي جوان ولكن حذار ان تصرحي لأحد ، ولو كان من اقرب الناس اليك ، بهذا السر . فما كنت لأجسر على مصارحتك : لولا انني لم احتمل الشقاء الذي يسيطر عليك ، فشئت ان احدثك بما اجلو هذا الشقاء ، على ان تحرصي حتى لا يبدو عليك اثر هذا الحديث ، ولو في نظراتك او نبرات صوتك .. ان سوينز ويلد هو اعز اصدقائي ، وقد اضطر الى السكوت ازاء ما اتهمه به مونتاج حتى لا يفضح امري . لقد توصلت الى الاتصال بسوينز ليلة الامس ، خلال الفتحة التي اعـدت للتهوية في سقف حجرته .

فصاحت جوان : يالي من حمقاء . او تراه يصفح عـن ارتيابي فيه ..

— ولم لا .. انه يرســـل لك كل حبـــه ، ويطمئنك عن المعاملة التي يلقاها . اما الان فعليك ان تستمري في التظاهر بمظهر المحطمة القلب ، واحرصي الا تصدر منك حركة تفسد خططنا ..

— أواه يامستر ديل ، وهل ثمة امل في الخلاص من هذا السجن ..

— انني آمل ان اوفق في اطلاق سراحكم جميعا ، ليلة عيد الميلاد على الاكثر ..

وشعر الاثنان اذ ذاك باقتراب مونتاج . فظلت جوان

تتصنع الاستغراق في مشاهدة الرسوم . فأطل مونتـــاج الى الصفحات من فوق كتفها ثم قال :

ـ لا عجب . فالرجل مجنون . ولعله يظن نفسه في مهارة ميشـــيل انجيلو . لا ترثي له . بل ارثي لحالي انا ايتها الحبيبة . وبهذه المناسبة . ابشرك بأن زواجنا سيتم ليلة عيد راس السنة ..

وانقضت ايام . ثم اقبلت على الحصن ليلة من ليـالي شهر نوفمبر . دهمت فيها ليدي جوان لنكبة التي استلت من قلبها كل امل بقي لها في العودة الى العالم الخارجي ..

ففي اثناء النهار . ظل لوبين جالسا فوق الجسر يحدق في مياه المجرى ويرقب التمساح كطفل صغير . حتى اذا حان وقت العشاء . ابى ان يرتدي ملابس السـهرة وان يشاطر زملاءه عشاءهم . وهي عادة سمح له بها في الايام الاخيرة . فان رجال اكس يضنوا بقسط من الحرية على مجنون مثله . فتركوه يضرب في انحاء ساحات الحصن وسمحوا له بان يتردد على المزرعة التي يقوم فيها دافيدسن بتربية المواشي والعناية بها . وكان يلذ للوبين ان يشاطر الرجل اعماله . فينظف الخنازير . ويقدم الطعـــام للكلاب البوليسية التي ما لبثت ان الفته . وما كان لدى دافيدسن ما يمنعه من تقبل مساعدة هـذا المجنون ما دام فيها تخفيف لعبء العمل عن كاهله . وما دام لوبين يقدم له من السيجار اللذيذ الذي يمده به خدم الحصن . وان يحمل اليـه قسطا من الخمر الذي تقدم اليه كل يوم ..

وفي ذلك النهار ، قضي لوبين معظم وقته في المزرعة . بينما استمتع دافيدسن بنوم عميق بعد الظهر .. ثم تغير الجو فجأة ، فهبطت درجة الحرارة ، واحس الضـيوف — حين اقبلوا على موائد العشاء — ان ثمة زوبعة وشيكة

الهبوب .. وتولاهم الوجوم الذى ينشأ عن مثل هذا الجو المكفهر ، وزاد من وطأته ان العوامل الجوية ادت الى انقطاع الاذاعة اللاسلكية التي كانوا يستمعون اليها من لندن .. وومض البرق يخترق الظلمة المسيطرة على البطاح .. وانبعث هزيم الرعد قاصفا .. وفجأة ، سمع الجميع صرخة مرتاعة تتردد في الخارج ، تلاها صمت رهيب دام دقيقة او اثنتين .. ثم صاح كابتن اكس ، وكان في تلك الليلة يتناول عشاءه مع امراه ..

— نيوتن .. ما هذا .. ؟

وضاع جواب الحاجب في غمرة الصرخات التى انبعثت في جو الحجـــرة تعبر عن الأسى الذى تسرب الى نفوس الجميع .. وهرع نيوتن وكوينز ومونتاج الى الخارج ، ثم تبعهم ستانتون ولادلو .. وكانت الصرخة قد انبعثت من ناحية الجسر ، حيث اعتاد لوبين ان يجلس .. وعلى ضوء المصابيح التى وجهت الى مجرى الماء ، تبدت معالم القصة الاليمة .. فقد طفت على صفحة الماء المضطرب قبعة لوبين ، ثم شاهد الرجال ظل جسم تحت الماء ، راح التمساح الرهيب يصارعه حتى صرعه ، ثم سحبه الى القاع .. وحول ستانتون عينيه عن المنظر المروع وهو يصيح :

— انه ديل .. يا الله .. اى ميتة هذه ..

وكانت جوان قد لحقت بهم ، فاحاطها بذراعه ليحجب عنها المنظر ، وهو لا يفطن الى الصيحة الأليمة التى ندت عنها وهى تهتف : اواه .. !! وماذا بقى لنا من امـــــل فى الحياة !! ..

وقال نيوتن : لقد كان يجلس هنا يرقب التمساح حتى التهمه .. لقد اردت ان احجزه في حجرته ، ولكن مستر مونتاج أبى ان يوافق ..

فصاح مونتاج في غضب : لم يكن ثمة ضرر من اطـــلاق سراحه ..

واقبل الكابتن اكس انذاك فتساءل : أما كانت ثمة فرصة لانقاذه ..

فاجابه نيوتن : لا ياسيدى .. كان التمساح قد اجتذبه الى القاع .. لقد كانت قواه العقلية تزداد سوءا ، ولعلها اوحت اليه ان يقفز الى الماء ..

فامرهم اكس ان يعودوا الى قاعة الطعام ثانية ، حرصا على راحة السيدات .. حتى اذا استوى على منصته هنـــاك وقف برهة ريثما ساد الصمت ثم قال :

— ان التمساح المخلص يسهر على حراسة مجرى الماء .. فآمل ان يكون هذا الحادث رادعا لكل منكم عن الاقدام على مثل هذه الحماقة .. واذكركم بقول افلاطون ، الذى اترجمه لكم .. ان الحظ الأسود قد يفسد خطط مائة من اجل الرجال . ولقد يجوز لكم ان تعتبرونى رجلا عاقلا لاننى لا اود ان يقتحم احد الاستعدادات التى اقمتها دفاعا عـــن المؤســـة ، ولكن نقطة الضعف في خطتى ، هى اننى اعتمدت على اتباع من الحمقى .. لقد تلقيت انباء سيئة ، فارجو ان لا تغادروا هذه القاعة حتى يسمح لكم ، وستحضر لكم اقداح القهوة هنا .. ابق مع اصــــدقائك يا كولينز ، واتبعنى يا مونتاج ..

وقال براثر اذ انصرف الرئيس : هذا اطول حديث القاه .

فقال ستانتون : ترى ماذا هناك .. لابد ان شيئا يسوؤه قد حدث .. اما سمعت ما ذكره عن اتباعه ..

فقال لادلو : اعتقد ان ثمة خطرا كاد يحيق بهم من ديل .. وهكذا مضت اقوال الجميع تتضارب ما يزيد عن الســاعة ثم اقبل نيوتن وتلرابوتى ، ففاجأ الجميع باعتقال الدكتـــور

كولينز .. ومضت ساعة اخرى مليئة بالحدس والتخمين . قدم مونتاج وما زال على وجهه اثر طفيف من الانفعال فما سالته مدام مارالدا عن سر اعتقال الطبيب حتى قال :

ـ انه خائن .. ويبدو أنه قد يسر ببعض تصرفاته سبل الافلات لديل ، لولا أن اعترض التمساح طريق المسكين . والان ، سيدور تحقيق وتفتيش دقيق بينكم . ولا سيما اولئي الذين كانوا على اتصال بديل في المدة الأخيرة . فقد تركنا له الحرية بناء على تقرير كولينز بانه مخبول يرعى خيالات واهمة .. فاذا به يستغل هذه الحرية في التردد على مزرعة المواشي ، والحديث مع دافيدسن وتقديم السجاير اليه ومساعدته في عمله ، حتى استطاع التودد الى الكلاب البوليسية فلم يعد يخشى ضررها .. ثم اسكر دافيدسن..

فقال برانر : ومن انباكم هذا) ..

ـ لقد رآه تارابوني يفتح قفل مخزن الخمور ، ويحمل زجاجة من الويسكى الدافيدسن .. فلما غادر المزرعة ، ذهب تارابوني ليجد دافيدسن مخمورا فاقد الوعى ، وان ديل قد أعد العدة للفرار . لا سيما وان الليلة ممطرة مما يخفى كل اثر لقدميه ..

فقال ستانتون : وهل افضى تارابوني للكابتن اكس بهذا كله قبل العشاء ؟

ـ ربما .. ولماذا ؟

ـ في هذه الحالة ، يكون ديل قد القى الى التمساح القاء ..

ـ ولم لا ؟ .. انك عسكرى تعرف واجب الخضوع للنظام والأوامر .. ومع ذلك ، فان اكس لا يابه لحياة واحد في سبيل الجميع .. ولسوف يحقق الرئيس مع صديقك مستر ويلد باليدى جوان اذ انه هو الذى افضى للطبيب بمعلومات عن ديل ، بنى عليها تقريره .. واصارحك انني لم

١٢٤.....

ار الرئيس قط في مثل الغضب الذى يتولاه الان ، وهو يعتقد ان الصدفة وحدها هى التى انقذته ، حين ساقت تارابوني الى اكتشاف ديل وهو يفتح قفل مخزن الخمور خلسة .. ومن ثم فسيرقى تارابوني الى منصب اعلى .. اما ويلد ، وهو الذى يهمك امرة باليدى جوان ، فاظنه سيكون هدف تجربة جديدة يقوم بها الرئيس لتوطيد حكمه وسلطانه ..

فاقتربت ليدى جوان من ستانتون وهمست : كنت اعرف كل شيء عن هذه الخطة ولكنه حذرني من الافضاء بها لأحد .. كان يرجو ان يطلق سراحنا ليلة عيد الميلاد .. يا للتعس ..

وانهمرت دموعها ، فربت الجنرال على كتفيها مواسيا .

الفصل الحادى عشر

صعد كابتن اكس الى برجه وهو مكفهر متجهم ، كما لم يره احد عقب اى حادث من حوادث محاولات الهرب فيما مضى .. فلقد تبين له ان كل ما اعده من احتياجات يمكن التغلب عليها ، اذ لولا ان الصدفة ساقت تارابوني لاكتشاف الامر ، لكان اوبين قد نجح في محاولته . وفكر اكس طويلا في العلاقة التى ضمت ويلد وديل وكولينز ، فخيل اليه ان في الامر شيئا .. وبدا يرتاب في القصة التى علل بها ويلد قدومه الى الحصن . فعهد الى نيوتن وتارابوني ان يستخلصا الحقيقة من الاسرى مهما اضطرهم هذا الى استعمال العنف والقوة ..

فلما وصل اكس الى الحجرتين الاوليتين في البرج ، نفذ الى الداخلية منهما ، فاذا هى معدة ليكون جزء داخلى مطبخ ومغسلا ، بينما استعمل معظمها كمخدع له . وسرعان ما خلع ملابسه ، وارتدى ثياب الاسموكنج ، ثم تامل وجهه

فابتسم الرجل ، بينما وجد لوبين ان لابد من شيء يكمن خلف هذه الابتسامة .. وخيل اليه ان اكس ولابد في احدى حجرات البرج ، لذلك كمم الرجل ، ثم مضى الى الحجرة التي في الطابق السفلى ، وما لبث بعد برهة أن عاد وهو يقول :

– اعترف انك ماهر .. لم يكن ليخطر لأحد على بال ان الكابتن اكس ليس غير رجل أحمر الشعر يتنكر في غير صورته الأصلية .. اجل ، لقد اكتشفت انك لست غير الكابتن اكس ولكنك عندما تظهر لأسراك ترتدي شعر اسود يغير من شكلك ، وتدهن وجهك بذلك المزيج الذى يستعمله الممثلون لكى يبدو المرء منهم شاحبا اللون .. ولكن ، اية حيلة دفعتك لهذا ؟ .. اتابى الكلام ؟ .. انك احيانا تقضى اسابيع بطولها هنا دون ان يقلق عليك احد . ولذا فلن يسأل عنك أحد اذا طالت غيبتك . ولذا فلن اخشى شيئا ريثما انتزع الحقيقة منك قسرا ولكننى سانعم الان بالنوم لعشر ساعات ، ولن اخشى ان تفك قيودك ..

– وما الذى تريدنى على ان اقوله ؟ ..

– لا أريد الان شيئا ، بل سادعك حتى تتوتر اعصابك وتصرخ تستجدى الرحمة .. فاذا تألمت فتذكر آلام ضحاياك السابقين ..

– ولكن ، من الذى التهمه التمساح اذن .. ؟

فاشعل لوبين سيجارة وقال مبتسما : كانت خطة بديعة .. لابد انك علمت ان تارابوني قد اكتشف اننى سرقت زجاجة ويسكى من مخزنه . فقد فاجأنى وانا اتسلل هاربا . كما اننى ادركت انه كشف أمر الملابس التى اخفيتها في مزرعة الماشية لأتنكر فيها . ومن ثم عدلت عن هذه الخطة الى غيرها . انك ولا ريب قد علمت من رجالك اننى كنت اجوب

المكان طيلة أيامى الاخيرة ، منهمكا في رسوم وكيكه . كان بينها رسم البرج . ولكنى حين جلست امام البرج اتامله الساعات الطويلة . لم اكن افعل ذلك لأتقن رسمه . وانما لأدرس طريقة لاقتحامه .. ثم حملت خنزيرا سمينا من المزرعة . فلففته في سترتى بعد ان اسكرت دافيدسن حتى فقد وعيه . ثم القيت بالخنزير الى التمساح بعد ان ارسلت تلك الصرخة المرتاعة .. ورميت بقبعتى الى المجرى . ولا ريب انك عرفت البقية . بل انك عرفت كل شيء . ما عدا امرا واحدا .. هو اننى الضيف الوحيد الذى دفع النفقات اللازمة لاختطافه ..

– اتعنى ان سميث قد خاننى ؟

– لا . بل ارسلت له شخصا ادعى اننى عقبة في سبيله . كانت حيلة بارعة .. ان ويلد هو شريكى ..

– قط لم اطمئن اليه .. ولكن مونتاج ..

– بل ان مقدم ويلد كان هادما لخطتى الاولى . وهذا سر غضبى منه . لقد كانت تعليماتى تقضي بان ينتظر حتى يتلقى من نبا .. ومع اننى اختطفت قبل الموعد الذى كنا ننتظره . الا اننى كنت احمل في جيبى بطاقات بريد تحمل عنوان ويلد في فندق كلاريدج . فكنت وانا في السيارة التى حملتنى الى مكمنكم في شارع بيرى ، القى بطاقة في كل شارع امر فيه . وكانت آخرها في شارع بيرى . ثم القيت علبة سجايرى الفضية في مرفا جريفسند . وكانت فيها بطاقة تحمل اسمى وعنوانى . فالتقطها احد البحارة وذهب بها الى زوجتى المزعومة . ومن ثم قصد ويلد الى هذا البحار ليعرف منه التفاصيل . وما لبث ان التقى بهونى . ولست فى حاجة لسرد البقية ..

– وماذا كان غرضك من المغامرة ؟

ــ انما أتيت لأنقذ ليدى جوان ومسز أرجيللو . والان سأذهب لانام . ولكن بعد ان اكممك ..

ولكن لوبين ما لبث ان عاد الى الحجرة ثانية . ففك قيود أسيره . وقاده الى الحجرة الداخلية . فاذا فيها دولاب كبير للملابس . ارقده فيه وهو ما زال مقيد اليدين والساقين ثم أغلق عليه بابه ..

ومرت فترة طويلة قبل ان يأوى ارسين لوبين الى الفراش اذ راح يفحص ارجاء البرج في عناية . ثم راح يفكر في طريق الخروج من البرج . وتذكر ان دافيدسن حدثه ــ وهو يظنه مخبولا ــ عن ممرات سرية في البرج . يسلكها اكس أحيانا في سبيله الى الخارج . عندما يطيب له ان تبقى حركاته مكتومة . وكان على أرسين لوبين في نفس الوقت ان يظل على حذر من اكس . فقد اثبت له بخطته الفذة .. وبالسياسة التى يدير بها عصبته . انه داهية ذكى .

وأخيرا ، وفق الى خطة الخروج ..

كانت الكلاب البوليسية قد ألفته .. كما كان في وسعه أن يفتح قفل حظيرة الخيل بما عرف عنه من براعة . ومن ثم يختار له جوادا قويا .. بعد أن يخرج في ملابس اكس . ثم وبهدى من المعلومات التى استقاها من دافيدسن عن الجهات التى تحوط الحصن ، يستطيع ان يسلك طريقه نحو قرية بيرت . وهى اقرب الأماكن المأهولة . ولن يكون له وهو منطلق فوق جواده في ملابس اكس ، ان يخشى السياج المقام من الأسلاك . فقد عود اكس جياده على القفز فوقه ..

وفي الساعة التاسعة من الصباح التالى . اخرج ارسين لوبين غريمه من الصوان الذى القاه فيه . ثم ازاح الكمامة التى كاد ينخلع لها من فرط الألم الذى بثه فكا اكس . ثم قال له :

ــ اذا لم اقو على حملك على الكلام . فانني لن اخفق في ان اترك هذا للبوليس ..

فاجابه اكس في ثبات : تخطىء في ثقتك . فليس في دائرة البوليس شيء عنى .. ثم تذكر انني في عرف العالم الخارجي شخص مات منذ زمن بعيد . ولكن ، كيف توفق الى مغادرة الحصن ؟ لقد كان همي خلال السنوات السبع التى ادرت فيها مؤسستي في هذا المكان ، ان اقضي على كل فكرة تساعد اسراى على الفرار . فهل تظن انني اغفلت الاحتياط لحالة مثل هذه ..

وعاد القلق يسرى الى نفس لوبين . ولكنه ابتسم وقال : بل انني ساخرج وسابلغ صديقي سمرز امرك . فساخرج في ملابسك . ولن يثير خروجي دهشة احد لما اعرفه عن ولعك بالتجول تحت جنح الظلام . كما انني اعرف الاشارة التي تبديها في ترفع لحارسك فيفتح لك الباب الخارجي فضلا عن انني لا أعجز عن تقليد صوتك ولهجتك كما ترى ..

ان مغالاتك في الترفع والكبرياء على رجالك ستساعدني وتجنبني الكلام الكثير . ولقد علمت طريقتك حين تصرف اتباعك عن طريقك وأنت منطلق ، باشارة من يدك . ثم انني سأستخدم نفس طريقتك في طلاء وجهك ليبدو شاحبا اصفر أتظنني تجشمت كل هذا العناء ليكون الفشل نصيبي في النهاية ؟ كذلك لا تنس انني اتسلح بمسدسك الاوتوماتيكي وانني من المشهود لهم بسداد الرماية . ولكنني الآن اميل الى الاستمتاع بشيء من الفرف على معرفتك هذا ..

ــ او هل تصر على التشبث بالامل ؟

ــ لقد وعدت ليدى جوان أن اطلق سراحها وبقية زملائها ليلة عيد الميلاد ، فما زال في الوقت متسع ..

فقال اكس ، وقد بدا لأول مرة يرتاب في دقة رقابة موناخ للمعتقلين :

– وهل يعلمون بهذا كله ؟ . .

– اجل ، فلقد ركنت الى الاهمال في تسيير احوال مملكتك في المدة الاخيرة . .

وجلس ارسين لوبين يعد شيئا من القهوة ، ثم قال : لقد طرات ببالي فكرة ظريفة . .

واسرع يبحث عن حبل طويل متين ، ربطه حول وسط اسيره ، ثم ربط طرفه الاخر في حلقة في جدار الحجرة قريبا من المنضدة بحيث لا يسمح له بالتحرك الى اكثر من حافة هذه ، وهو يقول : لقد أبعدت عن المكان كل اداة حادة ، فبقيت لك اصابعك ، فاذا وفقت في حل احدى العقد التي ربطتك بها ، فانت حر طليق . . ان كل غرض يرمى الى تمكينك من تناول الفطور معي . .

– هل يعلم اصدقاؤك فى الخارج بمقرك منذ اختفائك ؟ . .

اكذب اذا اجبتك بانهم يعرفون . . لا ولا اهل وبلد ايضا . . ولذا فانا اعتمد على جهودي وذكائي فقط . .

– لقدقدر لك الدمار يا عزيزي ديل . . ان كل ما كنت احشاه ان يكون ثمة من يتعقب آثارك وينتظر أوامرك ، وان هذا ما ساعد ويلد على الوصول الى هنا . . شكرا لهذه القهوة التي سمحت لي بها . . ودعني في مقابلها انذرك بانك ستلقى في سبيلك الى مغادرة الحصن ، عقبات لا تتصورها الان . .

ولكن لوبين لم يحاول مغادرة البرج اسبوعا باكمله ، قضاه في فحص كل شبر من البرج في اهتمام وعناية ، بينما كان اكس مربوطا الى الحائط كقرد أليف ، حتى اذا اقبل الليل ، القاه لوبين في الصوان الكبير كما لو كان قطعة من الاثاث ، لينعم بنوم هنيء . . بينما كان اكس يظنه ساهرا يكتشف

جنبات البرج . . الى ان كانت الليلة السابعة . . فبعد انتصاف الليل بقليل . . اخرجه لوبين من الصوان . . ودهش اكس ، ثم زادت دهشته حين رآه في ملابس الركوب التي كان يستعملها ، وقد علق الوحل بحذائيه . .

وقال لوبين : لقد وفقت الى ذلك الممر الذي كان يفضي بك ، تحت قاع مجرى الماء ، الى الخارج . . كما كشفت سر المزولة القائمة امام البرج . . بل وجرؤت على ان امر بتارابولي . . وكم أعجبت بطريقتك في معاملة اتباعك ، فما ان لوحت له ببدى ان يبتعد ، حتى اسرع يختفي من طريقي . . حقا ، او انه عرف حقيقتي لقتلني ، ولكن الا ترى ان لابد من شيء من المخاطرة ؟

فصاح اكس في هياج : يالك من وحش هادىء الاعصاب . .

– ألا ترى انك كنت تموت جوعا لو انني قتلت ؟

وتذكر اكس انه وان كان قد اختزن مقادير وافية من الاطعمة المحفوظة ، الا انه كان يستطيع وهو موثق اليدين والساقين بهذا الوثاق الأليم الذي عمد اليه لوبين ، ان يصل الى شيء مما اختزن . .

وقال لوبين : انك لا تبدو ممن طبعوا بفطرتهم على الاجرام فهل لك ان تقص على طرفا من تاريخك ؟

فضحك اكس وقال : لا مانع . . ان حرصي على المغالاة في الدقة في خططي هو الذي دفع بي الى ان اكون اسيرك ، فلولا المناعة التي يسير عليها فتح ابواب هذا البرج ولولا الشدة التي اخذت بها اتباعي لكان من المحتمل ان يأتي احدهم ليراني وقد طالت غيبتهم ، ومن ثم يكتشف امرك . .

انني لم اكن مجرما بطبيعتي كما حدست . نشأت فقيرا

في احدى قرى انجلترا ، لم القى من العلم اكثر مما زودتني به مدرسة القرية ، في حداثتي .. ولكن ذكائي وتفوقي ، دفعا ناظر المدرسة الى اعدادي لاحدى مسابقات كلية كمبريدج العلمية ، فتمكنت من نيل الجائزة الاولى ، وهي التي مكنتني من الدراسة في احد اقسام الكلية مجانا ..

كنت شغوفا بالعلم فاقبلت عليه .. ولكن الاقدار شاءت الا ان تبذر في قلبي بذور المقت والكراهية للمجتمع ممثلا في شخص زميل لي من ابناء قريتي يشبهني قامة وجسما وان امتاز عني بانه ابن ماركيز واسع الثراء يسيطر على مقاطعتنا .. فحرصت اثناء الدراسة على ان انافسه في كل شيء .. في العلم وفي مباريات الكريكيت .. وكنت في بادىء الامر اتفوق عليه ، ولكنه بما كان له من مال ، استطاع ان يستأجر مدرسين ومدربين يعاونونه ، فانقلبت المنافسة بيننا الى شعور بالحسد تملكني نحوه ، ولقد ترى الى هذا انه لم يفعل ما يستثير عدائي له ، فما ذنبه هو اذا كانت الاقدار قد ساقت اليه المال الذي كان يمكنه من الفوز دوني بما يريد . انه حقا لم يصبني بضرر .. بل كان يحاول جهدة التقرب مني .. ولكن مشاعري هي التي أوحت الي بما اثار في قلبي هذا البغض المقيت نحوه ..

بل لقد حاول ان يساعدني ، فتوسط لالحاقي بالعمل في مكتب احد كبار المحامين في لندن . وكان هذا المحامي يتولى قضايا اللورد ريتشارد .. كما كان يدعى فكان يخصص قسما من مكتبه لسجلات واعمال اللورد ، لما كانت املاكه واراضيه من اتساع .. وفي هذا القسم عملت .. الى ان كان يوما رأيت فيه اللورد ريتشارد .. يفد الى المكتب ، فلم اخف لاستقباله ، وطفى على الحقد حين تذكرت انني انما اعمل في الواقع في خدمته هو ، فلما مر بي لم ارد تحيته

.. وكانت النتيجة ان فصلت من عملي .. فرحلت الى برنيو في بورنيو الشمالية البريطانية ، حيث قضيت عامين ثم قامت الحرب فالتحقت بالجيش .. وتشاء الصدف الا ان يكون اللورد ريتشارد ضابطا لفرقتي فزاد من حقدي ان يكون ممتازا عني ، رغم اننا كنا زميلين في الدراسة .. وكان رؤسائي يشكون مر الشكوى من اهمالي . الى ان جرحت .. فلما برئت ، نقلت من الميدان الى هنا في حراسة ضباط العدو الاسرى .. فكنت اقضي وقتي في تفقد ارجاء هذا الحصن وممراته الخفية وفي دراسة ما وجدت في المكتبة عن تاريخه ورسومه ، وفي التعرف الى كل ما يحوطه .. وقد نفعتني هذه الدراسة ..

فسأله لوبين الذي كان ينصت في شغف :

وهل خطرت لك اذ ذاك فكرة العصبة ؟ .

ـ كلا .. لقد واتتني الفكرة بعد ذلك بسنوات ، وانا في امريكا ولكن دعني اتابع القصة ثم حدث ان فر احد الضباط الاسرى .. فاعتقلت واتهمت بانني اهملت في واجباتي .. وتقدم شاهد يؤكد انني تناولت من الضابط الفار رشوة لقاء مساعدتي له في الفرار .. ولكن المجلس العسكري ما لبث ان برأ ساحتي .. الى ما بعد الحرب .. اذ فصلت من الخدمة في الجيش لاهمالي .. ولكن هذا ملأ صدري حقدا على بلادي واهلها . فرحلت الى امريكا وحاولت ان اجد عملا في نيويورك فاخفقت .

وفي ذات اصيل . جلست في احد المتنزهات العامة اضع خطة الانتحار .. وفجاة . شبت نار هوجاء راحت تلتهم منازل شارع قريب . فهرع من في المتنزه نحوها لمشاهدة هذا الحادث .. ولكنني كنت عازفا عن الدنيا وما فيها ،

فظللت جالسا ارسم خطتى .. واذا بى ارى شخصا طويلا فى ملابس أنيقة ثمينة . يسير قريبا منى . ثم توقف ليشعل سيجارة .. وذهلت حين تبينت انه لم يكن غير سير ريتشارد الذى عاد من الحرب ، تزين صدره الاوسمة بين ما انتهت اليه حالى .. وما صار اليه امره .. فذكت جذوة الحقد فى صدرى .. وتقدمت منه .. وعرفنى رغم مظهرى الرث الحقير . لقد رأيت نفسى اذ ذاك فى اسحق اعماق الهوة . ولكنى فى الواقع كنت اخطو فى تلك اللحظة اولى خطواتى نحو النجاح ..

فقال لوبين وقد غاظه ان يصر اكس على انه ما يزال محتفظا بنجاحه :

– اظن أن هذا النجاح قد انقضى وزال ..

– دعنا من الجدال الآن .. لن انكر ان سير ريتشارد هش للقائى .. واستطعت ان اقرأ افكاره . فادركت انه يرى من واجبه – لما كان بيننا من تعارف – ان يساعدنى على العودة الى قريتى ثانية . الى الجو الذى نشأت فيه .. وحاول ان يبدى لى اسفه لما آلت اليه حالى .. ولكننى اجبته فى خشونة . ثم حاولت اهانته .. فاضطر الى ان يركلنى بقدمه .

وكنت ضعيفا لم اتناول طعاما مغذيا منذ ايام .. فهويت الى الأرض . واذا بيدى تقعان على حجر كبير فما لبثت ان رميته به .. فاصابه فى رأسه .. وهوى بين الشجيرات الكثيفة .. وتبينت انه مات .. فتولانى الذعر فى بادىء الأمر . ولكننى ما لبثت أن تذكرت الحقد الذى يملأ نفسي نحوه . فاسرعت استبدل ثيابى بثيابه . وشوهت وجهه حتى لا يتبين احد انه شخص غيرى .. أو يفطن امرؤ الى حقيقة شخصيته .. ووليت هاربا .. ووجدت فى

جيب سترته خمسين الف دولار ورقى كلها . من الاوراق ذات الالف دولار كلها جديدة .. فخشيت ان تشم ارقامها .. ورأيتنى منساقا الى المضي فى الجريمة حتى النهاية فكان اول همى ان اتخلص من الاوراق الجديدة . ولذا يممت شطر شيكاغو وهناك التقيت بسميث فغدونا صديقين .. اذ كان هو الصراف الذى اعاننى على استبدال الاوراق . لقاء خمسين دولارا عن كل ورقة .

وحدث ان كان سميث على اتصال بابن احد اصحاب الملايين .. وكان الشاب متلافا .. يضيق بتقطير ابيه عليه فشاء ان يتخلص منه .. وكانت أولى مغامراتنا . ونواة عصابتنا . فامددت سميث بالمال اللازم لنستاجر بيتا منعزلا خارج مدينة نيويورك . ولكن البيت كان قريبا من سجن سنج سنج .. فكان معرضا للتفتيش كلما فر سجين من هناك . فدعانا هذا الى التفكير فى تركه الى غيره .. ولكن . كيف السبيل الى نقل اسرانا وقد بلغوا الخمسة عددا ؟ وجاء الجواب فى احدى امسيات الشتاء . اذ اشتعلت النار فى البيت فجأة . فنجوت وسميث وقبل ان تأتى النجدة من نيويورك .. كانت النار قد اتت على البيت ومن فيه . ومن ثم رأينا أن نجعل مقر معتقلنا فى الجزر البريطانية .. لما فيها من حصون قديمة .

وكنت اعرف هذا الحصن .. فساعدتنى الثروة التى آلت اليها استثمارى للخمسين الف دولار ولما اصبناه من مغامراتنا ، على شرائه . وطبعا بوسعك ان تدرك اننى اضطررت الى التنكر حين قدمت الى انجلترا . فاستعملت الشعر الاسود المستعار . واضطررت الى دهن وجهى بتلك المادة التى تبديه شاحبا . وان اتجنب وقوع الضوء على وجهى . بادعاء أن عينى لا تحتملان الضوء .

وانقضت بضعت ايام بعد هذا الحديث . ثم قال لوبين ذات ليلة لاسيره :

— سأقصد الى بيرت الليلة لأرى ما اثاره اختفاء ويلد . فانت تعرف مكانة عمه ونفوذه .

فقال اكس متهكما : اذن ارجو أن تحضر لى نسخة من جريدة « التيمس » فى عودتك .

— اظننى غير مستطيع الذهاب . صبرا . ولكن لا بد لى من ان أوثق كتافك . وان القيك فى الصوان . فهذا اكثر امنا لك الى ان اعود .

وبعد منتصف الليل بساعة ونصف عاد لوبين يفتح الصوان ويخرج اكس ويفك قيود يديه وكانت ثيابه موحلة تنم عن أنه قطع مرحلة طويلة .

وقال لوبين فى فرح : آسف . لم اجد من « التيمس » سوى النسخة التى صدرت منذ ثلاثة ايام . هاك هى . الا تصدق ؟ . اذن انظر هذا الطباق الذى ابتعته من بيرت .. هل قرات اسم المحل على الكيس الذى يضمه ؟.

— صدقت . ولكنه امر غريب ان توفق فى رحلتك . والأغرب منه أن تعود ثانية . الا ترى أنك برهنت على غباء .. لقد استعدت حريتك مرة .. فهل تراك موفقا الى استعادتها كل مرة ؟ .

— لا تشغل بالك من اجلى .. اتعرف انه كان من اشق الأمور حمل دوائر البوليس على ان تصدق قصتك وقصة عصبتك ؟ . ها .. .. اصدقت ؟ لا ياعزيزى .. لست بالابله الذى يخطر البوليس . ليرى رجاله يستأثرون دونه بثمرة جهوده وفخر انتصاره .. انما كان همى الأكبر أن يعرف الجميع أن النصر تم على يدى .. وسترى كيف يحدث هذا .

الفصل الثانى عشر

واقبل اخيرا اليوم الثالث والعشرون من ديسمبر يحمل فى طياته بوادر الشتاء والجليد .

وكان مونتاج ونيوتن يتوقعان أن يشترك الكابتن اكس فى استقبال عيد الميلاد .. بان يتناول عشاءه مع ضيوفه .. ولذا اعدا مائدته فوق المنصة المعتادة .. وزيناها بالزهور والرياحين . بيد ان الضيوف لم يستقبلوا ليلة العيد بشيء من الفرح . اذ كان ثمة قلق عام حول مصير ويلد وكولينز وكانت جوان جزعة تخشى ان يكون مونتاج قد لحق بويلد اذى . ولكنها لم تك تدرى أن احدا من اعوان اكس ما كان يستطيع ان يأتى امرا يتعلق بأحد الضيوف . دون اذن منه .

وتبدى على الجميع الانفعال عندما احاطوا بموائد العشاء .. واتجهت انظارهم صوب باب القاعة يترقبون مقدم اكس .. بينما موقف مونتاج فى المدخل ينتظره وهو حائر يفكر فيما دعا الرئيس الى اهمال التحقيق مع كولينز وويلد .. وهو الذى كان غاضبا متعجلا ؟ .. ويسائل النفس ما السر فى حركات الرئيس التى حمل اليه تارابونى نبأها .. فقد شوهد فى الليالى الأخيرة يمتطى جواده فيما بعد العاشرة مساء فى سرعة هوجاء وكأنه شبح داهم فى غمرة الظلام . واحس مونتاج بوجوم يعروه .. وبقلبه يخفق فى انقباض لم يستشعر فى حياته من قبل مثيلا له .

واخيرا اقبل اكس ، يتقدمه تارابونى ويسير خلفه نيوتن . فسار بين الضيوف لا يكترث بهم حتى صعد منصته .. وما أن اقبل الخدم بالشراب حتى نهض قائلا :

« سيداتى . سادتى .. يؤسفنى ان لا ارى البشر تعلو

وجوهكم الليلة .. ولكنني اذكركم بحكمة فرجيل .. التي
اترجمها لكم في هذه الكلمات .. فليتأس اولئك الذين
يعانون الضيق وليتشبثوا بالأمل .. وليحذر اولئك الذين
أملهم النجاح وليتبصروا مواطىء اقـدامهم .. والان .
فلنشرب نخب الامل ! ..

وافرغ الجميع كؤوسهم في دهشة . ولكنه لم يجلس .
بل تابع حديثه : انه ليسرني ان اذكر ان هـذه الليلة كانت
الموعد الذي حدده مستر مارتن دبل لسقوطي وحريتكم ..
ولكن هذه الدار اثبتت أنها أكثر مناعة من ان تسمح لمن
يدخلها بمغادرتها .. انها اكثر وفاء منكم يامن تفكرون في
مغادرتي .. وانا الذي طالما عنيت باسعادكم .. واني
لانذر بالعقاب اولئك الذين تآمروا ضـدي .. الجنرال
ستانتون والكومندور لادلو ..والليدي جوان . ولـكن
الليلة ليست ليلة الانتقام . ولذا فسأحاول أن اصـفح .
وسابرهن لكم على ان في وسعي ان اغفر فقد امرت باحضار
الدكتور كولينز ومستر ويلد ..

وتمتم ستانتون : ترى ماذا يخبيء الشيطان ؟

فقال برانر : لست أدري ماوراء هذا الحديث ..

وما ابث ان نفذ ويلد وكولينز الى القاعة . فاذا الأول
يبدو عليلا . بينما اصاب الثاني نحول جلي

وتمتم برانر : انها اول حسنة لاكس . ان سمح لهما
بمشاطرتنا بهجة الليلة .

واسرعت جوان الى ويلد تحتضنه وتقبله في فرح
بينما اجاب ستانتون زميله :

– ليس ثمة حسنة لاكس . فما كان ليفعل هـذا .. لولا
ان هناك باعثا قويا يحدوه .

وتمتم ويلد لجوان : لقد بلغني نبأ موت صديقي العظيم .

يا لها من ميتة . ! كم اخشي ان يقتل المصاب فيرا المسكينة
لو انها دوت به .

وعلى مائة ميل خارج الحصن . كانت لندن تضج وقد
ازدحمت طرقاتها بما هرعوا يحتفلون بالعيد .. وفجـأة ..
دوت في الخارج صيحات عالية . تبعها وقع اقدام ثقيلة
.. وصوت تحطم الأبواب وقفز الضيوف في جزع ورعب
.. ونظر الجميع الى اكس .. ولكنهم بهتوا لما بدا عليه من
ثبات . وتساءلوا فيما بينهم أهي حيلة جـديدة ليوهمهم
فيها بما يخالجهم من امل . ؟

واندفع الى الحجرة حـوالى العشرين رجلا .. بينهـم
اكثر من نصفهم في ملابس البوليس .. وراى ويلد بين
الاخرين عمه كيرتز .. وفيرا صديقة لوبين .. ووكيل الامن
العام .. واللورد كنهيرست .. ومستر ارجيللو .. وتقدم
مستر سمرز مفتش البوليس قائلا :

ــ حذار أن يتحرك احدكم .. فالحصن محتل يموج
برجال البوليس .

وهجم بضعة رجال على نيوتن وتارابوني فاوثقوهما .

وهرعت فيرا الى جوار سويز .. فمضت جوان تتــأملها معجبة بجمالها .. وهتفت فيرا :

ــ سويز ، اين دبل ياسويز ؟

وتبدى عليه القنوط ، ولكن صوت سموز انقذه من الاجابة وهو يتقدم من المنصــة قائلا :

ــ أانت الكابتن اكس ؟ ..

فقال بين دهشة الجميع : هكذا يلوح للكل .

ثم نهض وتقدم الى حافة المنصــــة .. ووضع يديه عــلى راســه كما يفعل اكــس فى بعض الاحيان .

وقال اكس أخيرا : آسف لانك لن تنعم بلذة القبض عــلى وهتف لادلو : حذار والا قتل نفسه ..

ولكن اكــس فى اللحظة التالية .. كان قد رفع الشعر الاسود الزائف .. وبدلا من أن يبدو تحته الرأس الاحمر الشعر .. تبدى راس ارسين لوبين .. الذى لم يلبث ان قال :

ــ آسف لأن الكابتن اكــس سجين فى البرج .. فلم يستطع ان يقدم لكم لذة الاستمتاع بمنظر القبض عليــــه .. انه مخبول ، ممن ذهبوا ضحية المغالاة فى الخيـــال والوهم .. كان يظن أن العالم كله ضده ، فمقت العــالم وكرهه .. واراد أن يوفر للغير متعة الحياة بعيدا عنه .. ولا يفوتنى أن أسجل أمامكم جميعا فضل صديقى ومساعدى الدكتور كولينتز اذ نبهنى الى خبله .

وتلفت كولينتز متـــألما فى حيرة ودهشة : ماذا يقصد بقوله انني صديقه ؟

فوكزه براتر قائلا : صه ايها الاحمق ، انه ينقذ رأسك من المصير الذى ستلقاه رؤوس العصبة ..

تمت